
أجاثا كريستي
الثلوج الدامية
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0143131

الثلوج الدامية

أجاثا كريستي

الثّلوجُ الدامِيَة

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الثلوج الدامية

الفصل الاول

سطعت شمس يوليو الحارة ، فوق سطح البحيرة المصقولة التي تقوم على ضفتيها بضع كبائن خشبية متصلة متينة البنيان ، يتوسطها كشك رئيسي أعد لكي يتناول فيه المصطافون وهواة صيد السمك طعامهم .

وجلس في شرفة (الكشك) رقم ٣ رجل متوسط العمر ، مورد الوجه ، راح يحدق بعينيه الزرقاوين اللامعتين في قطعة صغيرة من الورق عليها اسم أحد منتديات نيويورك ، وقد كتب في هذه الورقة سطر واحد استغرق عنايته وشغله عما حوله من جمال الطبيعة وسحرها .

وكان هذا الرجل منذ اجتيازه حدود الولايات المتحدة ودخوله أراضي كندا الفرنسية لا يفتأ يبرز من جيبه هذه الورقة ، ويمعن النظر باهتمام عميق في الكلمات الأربع التالية التي تضمنتها وهي : « جوزيف روفيير . سان فلورنتين » .

وفيما هو كذلك هتف به صوت عند سلم الكابينة ، فانتفض وسارع إلى إخفاء الورقة ووقف لاستقبال القادم ، فـإذا هو رجل نحيل الجسم ،

أشيب الشعر ، بادي النشاط يحمل في إحدى يديه قصبة الصيد وفي الأخرى قبعة قديمة بها طعم لصيد السمك .

وقال ووجهه مشرق بالابتسام :

— إنني أدعى (آدمز) وأنا أقيم بالكشك المجاور لك . وقد شاهدتك قادماً وأنا أتناول طعامي ، فشعرت بأن واجب الجوار يحتم علي أن أحضر اليك لتحيتك .

فقال صاحبه .

— وأنا أدعى ويد جولد . تفضل بالدخول .

فقال آدمز وهو يدخل :

— لا أستطيع ان أمكث أكثر من دقيقة واحدة . لأنني سأنطلق صحبة (ريس) الصغير لأنه صياد ماهر . وهو يقيم بجوارنا مع والده الضابط البريطاني المتقاعد . فلماذا لا تأتي معنا ؟

— هذا كرم منك .. لكن ، الواقع أن لدي بعض مشاغل هامة .

— في وسعك أن ترجئها إلى ما بعد . أنت من هواة الصيد .. أليس كذلك ؟

— إلى حد ما .

— إنك كسائر المصطافين الذين يقيمون معنا .. هل أنت من كويبك ؟

— بل من نيويورك .

— وماذا حملك على اختيار هذه البقعة النائية ؟ إن أغلب الأمريكيين يفضلون الذهاب إلى الصيد في مصايد الحكومة . لعلك صديق لفورجيرون العجوز ؟

— لقد اجتذبتني إلى هنا عزلة المكان فلما عولت على الراحة وتبديل

الهواء ..

فضحك آدمز وقاطعه قائلاً :

– لقد وفقت في اختيارك .. ألم تأت إلى كندا الفرنسية من قبل ؟

فأجاب مستر تريد جولد بالنفي ..

فقال آدمز :

– سيروقك هذا المكان . فإن أهله يعيشون كما كان يفعل أسلافهم قبل الثورة الفرنسية . وفي كل مرة آتي إلى هنا يساورني شعور عجيب بأنني عدت إلى الماضي . إن كل شيء لا يتغير هنا .

– الحق انني في شوق شديد للتوفر على دراسة أحوال هذه الناحية وأطوار أهلها .

وكان آدمز في هذه الأثناء يمر بأصابعه فوق طائفة من الكتب صفت على مائدة أمامه .

ولم يلبث أن قال :

– هذه مجموعة غريبة . هل تتكلم الفرنسية ؟

– بطلاقة .

– سيساعدك هذا في إقامتك هنا . إذ لا يوجد سوى بضعة أفراد في قرية سان فلورنتين يفهمون الانجليزية .

– هل أنت من كندا الفرنسية ؟

– أنا ؟ كلا . إنني محام من تورنتو .

وانحنى آدمز وجعل يطالع عنوان أحد الكتب وقال .

– « دليل الطوابع العالمي » هل أنت من هواة جمع الطوابع ؟

– نعم . وهي هواية محببة إلى نفسي .

وقرأ آدمز عنوان كتاب آخر ، ثم حلق في وجه صاحبه في شيء من

الحيرة وقال :

– هل تقرأ كذلك كتب الأبحاث الجنائية ؟!

– إنني من هواة الأبحاث الجنائية .

– هذا من الطرافة بمكان عظيم إن الأبحاث الجنائية تثير فضولي دائماً ، ولا بد أن ننتهز فرصة مقبلة فنتحدث في هذا الشأن حسناً .. لا ينبغي لي أن أحمل صديقي الصغير على انتظاري طويلاً .

وتقدم إلى باب الكشك وهم بالانصراف .

ولكنه ما لبث أن هتف :

– آه .. هو ذا (آنج ترمبلاي) حارس المصيف قادم لكي يرى إن كان يعوزك شيء .

وأقبل عليهما رجل ضخم الجسم يسير فوق الممر الخشبي الموصل بين الأكشاك .

وفي هذه اللحظة ، سمع آدمز صوتاً يناديه ، فحيا صاحبه وسار يحمل قصبة الصيد في يده ، وقصد إلى حيث كان أحد الفتيان يلوح له بيده .

وأقبل الحارس على تريد جولد وقال .

– لقد أتيت لأرى إن كنت بحاجة إلي .

– شكراً لك إن كل شيء على ما يرام . أظنك أنبأتني من قبل أن هناك زميلاً يشاركني في هذا الكشك ؟؟

– نعم هو الدكتور وود . وسوف يأتي بالسيارة من نيويورك .. هل في نيتك أن تصيد غداً . فأعد لك قارباً ؟

– إنني لم أحزم رأيي على أمر بعد ولكن هل تستطيع ان تصف لي الطريق إلى القرية ؟

– إن المسافة إلى القرية ، تربى على ثمانية أميال ، يا مستر

تريد جولد .

– أنت تعني الطريق المعبدة ؟ أليس كذلك ؟! ولكني أنوي إختراق الغابة !..

وهنا انقلبت سحنة الحارس ..

وقال باهتمام :

– تخترق الغابة ؟. هذا مستحيل ..

– ولماذا ؟ لقد سمعت أن هناك طريقاً تخترقها .

– بل خير لك ان تستقل سيارتك وتنطلق بها في الطريق الممهدة . فقد تضل سبيلك بين أشجار الغابة .

وفي وسعي ، إذا أظهرتني على غرضك ، ان أذهب الآن بالموتوسيكل ، إلى القرية .

ورأى تريد جولد ان الحارس يحاول ان يثنيه عن سلوك طريق الغابة . ولكن ذلك لم يزده إلا إصراراً وعناداً فقال :

– بل سأسير على قدمي وسأخترق الغابة . ولا أحسب ان المسافة تتجاوز ثلاثة أميال . ولكن حدثني هل يوجد قارب لعبور البحيرة ؟ حسناً .. إنني سأجذف بنفسي .

وبعد ربع ساعة تقريباً كان مستر تريد جولد يترك القارب عند شاطىء البحيرة المقابل .

ثم سار على هدى البيانات التي انتزعها من الحارس انتزاعاً ، فاجتاز قنطرة قائمة على النهر الذي يصب في البحيرة ، ودلف بعد ذلك في الطريق المؤدية إلى الغابة ، وما هي إلا لحظة حتى حجبته أشجارها .

أخذ يتقدم بين الأشجار بسرعة دون أن يصادف أية عقبة وأدهشته محاولة الحارس ان يصده عن سلوك تلك الطريق وخطر له انه إنما فعل ذلك

رغبة في القيام بهذه المهمة والانتفاع من ورائها ، ولكنه سرعان ما انصرف عن التفكير في أمر هذا الحارس . وأوقف كل اهتمامه على إنجاز المهمة التي قدم لأجلها من نيويورك .

وتكاثفت الأشجار ، حتى خيل اليه انه يسير في نفق ونظر إلى ساعته ، فرأى انه اجتاز نحو ميلين ، في عشرين دقيقة ، دون أن يصادف أحداً في طريقه ، أو يلمح أثراً يدل على أن الغابة مأهولة ، أو مطروقة ..

الفصل الثاني

ما كاد تريد جولد يبرز من صميم الغابة حتى الفى نفسه إزاء قصر حصين يقع في وسط حديقة مهجورة ، إختلطت فيها الأعشاب والنباتات ، وتنهض على مقربة منه طاحونة مائية فوق مجرى ينحدر متدفقاً في أخدود بين الصخور .

نفذ تريد جولد إلى داخل الحديقة بدافع الفضول والقى نظرة على القصر فإذا نوافذه مغلقة ، ومظهره يدل على انه مقفر من السكان ومهجور من عهد طويل .

وإنه يهم بالعودة واستئناف السير ، إذ طرق سمعه حفيف بين أوراق الأشجار .

فانثنى بسرعة وأرهف سمعه إلى مصدر الصوت .. ولكن السكون كان مخيماً ولم يجد حوله ما يريب . فاطمأن وعزا هذا الصوت إلى اضطراب أعصابه بتأثير وحشة المكان وإقفاره

على انه ما كاد يخطو خطوة أخرى حتى وقع بصره على وجه يطل عليه من بين الأشجار ..

كان وجهاً قاتماً كوجوه الهنود الحمر ، يتدلى فوقه شعر خشن ، وتبرق في صفحته عين واحدة ، أخذت تنظر اليه في وحشية وشراسة ،

وزاد في بشاعة ذلك الوجه الغريب ، فم ينفرج عن أسنان سوداء محطمة ..

على أن هذه السحنة المزعجة توارت بأسرع من لمح البصر ، فوثب تريد جولد إلى حيث كانت أوراق الأشجار لا تزال تهتز ، عقب اختفاء صاحب الوجه الغريب .

فأزاح الأغصان بيده وهتف :

- أخرج يا هذا ..

ولكن لم يصل إلى سمعه سوى صدى صوته وقد تردد مدوياً في ذلك الهدوء الشامل .

ولما لم ير فائدة من معاودة النداء هز كتفيه في شيء من الحيرة ، وعاد أدراجه إلى الطريق مسرعاً .

واستأنف سيره إلى القرية ..

وبلغ القرية بعد عشر دقائق . ولم يجد عناء في الاهتداء إلى غايته . اذ رأى متجراً في نهاية القرية فوقه لوحة كتبت عليها هذه الكلمات : « جوزيف روفيير . تاجر » . وأمامه مضخة لإمداد السيارات بالبنزين ، وبداخله أنواع مختلفة من الثياب وسائر الأدوات المنزلية .

نفذ تريد جولد إلى داخل المتجر فقابلته امرأة شاحبة اللون ، فقال لها بالانجليزية :

- هل مستر جوزيف روفيير هنا ؟

ولكنها لم تفهمه فأعاد سؤالها بالفرنسية .

فردت قائلة :

- إنتظر قليلاً يا سيدي .

ودلفت من فورها الى داخل المتجر .

وما هي الا لحظة حتى أقبل عليه رجل في نحو الأربعين من عمره يضم قلماً

خلف أذنه .

فسأله تريد جولد :

- هل أنت مستر روفيير ؟.

فألقى عليه صاحب المتجر نظرة سريعة فاحصة ورد :

- نعم أنا هو .. ولكنني لا أفهم الانجليزية .

- إذن فسأحاول التعبير عن غرضي باللغة الفرنسية . لقد أتيت اليك في مهمة غريبة . منذ شهر تقريباً مر بمتجرك صديق لي من نيويورك ، ووقف أمام هذا الحانوت كي يزود سيارته ببعض البنزين ..

فقاطعه صاحب المتجر في شيء من الضجر قائلاً :

- لا أذكر شيئاً من هذا .

فقال تريد جولد ، وهو ينظر الى روفيير بحدة ، دون أن يعبأ بكلامه :

- وقد أبرزت لصديقي هذا ، غلافاً يحتوي على مجموعة من طوابع البريد القديمة ، وسألت صديقي المذكور ان كان يميـــل الى ابتياعها . ولكنه لم يكن من هواة الطوابع ، فضلاً عن انه كان راغباً في الإسراع .. بيد أنه ذكر لي هذا الحادث حينما عاد إلى نيويورك .. فلما اتيت هذه الناحية لقضاء اجازتي ، خطر لي ان أقابلك عسى ان تسمح لي بالقاء نظرة على تلك الطوابع ..

- لقد أخطأت يا سيدي فإنني لا أبيع طوابع بريدية .

- ألا يمكن أن يكون صديقي قد تحدث الى احد سواك ، في هذا المتجر ؟

- لا يساعدني هنا سوى زوجتي ولا يبعد ان يكون صاحبك قد ابتاع حاجته من البنزين من مكان آخر .

- بل ان صديقي قوي الذاكرة . وقد ذكر لي اسمك بالذات .

فهز روفيير كتفيه ولزم الصمت .

على ان تريد جولد كان واثقاً من وجود الطوابع عند هذا الرجل وكل ما هنالك أنه تسرع وأبدى لهفته لرؤيتها ، فثارت في نفس البائع عوامل الجشع لكي يظفر بثمن باهظ .

قال محدثاً التاجر في صراحة :

– اصغ الي يا صاحبي .. ساكون صريحاً معك انني من هواة جمع الطوابع القديمة . وانا على استعداد لنقدك ثمناً معقولاً ، لأية كمية تحب بيعها ..

– ولكنني اؤكد لك أن ليست لدي طوابع بريد .

فابتسم تريد جولد .

وأخرج من جيبه حافظة نقوده ، فأبرز منها ورقة مالية ، من فئة الجنيه وقال :

– انني اهبك هذه الورقة مقابل نظرة على ما قد يكون في حوزتك من الطوابع القديمة . على انني لن اخصم قيمتها من الثمن ، في حالة الاتفاق على البيع .

وهنا طرأ على البائع تحول ظاهر ..

فما لبث ان هز كتفيه وقال :

– اذا كنت تصر على معرفة الحقيقة . فاعلم ان لدي طائفة قليلة من الطوابع القديمة ، لا يبعد ان اكون قد عرضتها على صاحبك .. واذا كنت قد نسيت ذلك ، او على الأصح اذا كنت قد تجاهلته ، فليس هذا الا لأن مجموعة الطوابع تخص زوجتي .

وقد عثرت بها ملتصقة ، فوق رسائل قديمة ، من مخلفات أمها ، عند وفاتها .

ولصارحك انني لست على وئام مع اهل زوجتي .. واذا علموا انني تصرفت

في هذه الطوابع ، فسوف يشتد الخلاف بيني وبينهم ..

ولكن يلوح لي ، يا سيدي ، انك رجل حريص عاقل .. وما دمت تصر على القاء نظرة ، على مجموعة الطوابع ، فإنني لا ارى مانعاً من ذلك ..

قال هذا وفتح أحد الأدراج ، وأخذ منه غلافاً قديماً ، ووضعه فوق الحاجز الخشبي ، ثم تناول الورقة المالية . وطواها بعناية . ودسها في جيبه .

أما الزائر فقد انقض على المظروف ، وأفرغ محتوياته فوق الحاجز ، فانتثرت منه مجموعة من الطوابع التي فصلت عن أغلفتها بعناية .. وما لبث أن تأوه وقال :

– ما الذي حملك على فصل هذه الطوابع عن أغلفتها ؟

فهز زوفيير كتفيه ورد :

– لكي يسهل حفظها وإخفاؤها .

وفي هذه اللحظة طرق سمعه صوت باب يفتح بداخل المتجر . فسارع باخفاء الطوابع تحت صحيفة كانت في متناول يده .

وهمس قائلاً :

– صه !. ها هي زوجتي قادمة .

ورأى تريد جولد تلك المرأة التي أبصر بها عند دخوله المتجر قادمة من الداخل ، وعلى رأسها قبعة من طراز قديم .

فدار بينها وبين زوجها حديث موجز بلهجة سريعة لم يستطع تريد جولد أن يفهم منها شيئاً .

ولكن خيل اليه من قسمات وجهها انها تؤنب زوجها .. غير أنها ما لبثت أن حيت الزائر باحناء رأسها قليلاً ثم انصرفت .

فحص تريد جولد الطوابع بعناية ..

ثم نظر الى روفيير وسأله :
- كم تريد ثمناً لهذه المجموعة ؟

ففرك روفيير كفيه وقال وعلى وجهه علامات الاغتباط :
- إنها مجموعة نادرة كما ترى .. ما رأيك في أن تدفع خمسين ريالاً ثمناً لها ؟

فلم يتردد تريد جولد وعزم على ان ينقد الرجل الثمن الذى طلبه آملاً في استدراجه إلى إبراز ما قد يكون لديه من طوابع بريدية أخرى . ولذلك أخرج حافظة نقوده ، وناول البائع الثمن الذي طلبه ثم أعاد الطوابع إلى الغلاف ودسها في جيبه .

ولم يخب ظنه

فإن روفيير ما لبث ان قال وهو يحصي الأوراق :

- إذ عاهدتني ، يا سيدي ، على ان تبقي الأمر طي الكتمان .. فسوف أبذل جهدي للبحث عما قد يكون بالمنزل ، من أمثال هذه الطوابع .

فابتهج تريد جولد لنجاح خطته . على انه أخفى شعوره وأخرج غليونه فحشاه تبغاً ثم قال :

- حسناً .. إنني أقيم بالمصيف الكائن على ضفاف البحيرة . واسمي تريد جولد . أتحب ان أوافيك غداً في مثل هذا الوقت ؟
- كلا .. كلا .. ولكني سأخطرك برسالة موجزة .

وفي هذه اللحظة دق جرس كنيسة القرية. فألقى جولد تريد نظرة سريعة على ساعته وقال :

- الساعة الآن السادسة . لا بد ان أنصرف . إن العشاء يقدم بعد نصف ساعة ، والمسافة بعيدة .

- في وسعي اذا انتظرتني بالقرية خمس دقائق ريثما أقوم بزيارة قصيرة ان

أوصلك الى مقرك في سيارتي

ـ هذا اذا لم أكن سبباً في مضايقتك ..

ـ كلا على الاطلاق .

وأسرع الرجل فارندى سترته ووضع قبعته على رأسه وقاد زائره الى الخارج . ثم أغلق الباب واتجه الى فناء مجاور المتجر . وهناك رأى تريد جولد سيارة فخمة أيقن ، عندما وقع بصره عليها ان الرجل على جانب كبير من الثراء .

الفصل الثالث

وقفت السيارة أمام منزل بالقرب من الكنيسة ، وهناك استأذن روفيير صاحبه في مقابلة الاستاذ بوشيرون مسجل العقود ودخل إلى المنزل .

وترك تريد جولد السيارة بدوره وقصد إلى الكنيسة ونفذ إلى داخلهـا والقى نظرة على محتوياتها وهناك وقع بصره على مدام روفيير وكانت جاثية تتمتم صلاة خافتة أمام تمثال للعذراء بالقرب من المذبح .

وفيا هو يجيـــل بصره في نقوش الكنيسة إذا به يرى قساً ثاقب العينين يرتدي ثياباً فضفاضة .

ففاتحه بقوله :

– إنها في الحق كنيسة بديعة عريقة في القدم

فأومأ القس برأسه وقال في وقار :

– إن تاريخها يرجع إلى ما قبل الفتح البريطاني .

وأشار بيده إلى مصباح يرسل ضوءاً أحمر قـــانياً فوق المذبح ، واستطرد :

– إن هذا المصباح لم يخمد ضوءه منذ مائة وثمانين عاماً ، ثم انظر إلى هـذا النقش التذكاري فوق الجدار .. إنه يخلد ذكرى انقضاء العهد الاقطاعي الذي الغي عام ١٨٥٥ وهنالك على حدود القرية قصر آخر إقطاعي في هذه

الناحية اسم (قصر الموت)

– أهو منزل عتيق يجري في جواره نهر صغير ؟ لقد شاهدته حينما كنت قـــادماً إلى القرية .. إنه مقفر من ساكنيه في الوقت الحاضر ، أليس كذلك ؟

فأومأ القس برأسه وقال في شيء من الجفاء

– إن صاحبه الاقطاعي يقيم في الخارج .

– ألم تقرر أن عهد الاقطاع انقضى ؟

– لقد ألغيت حقوق أولئك القوم السياسية وبقيت لهم الألقاب ، وحق اقتضاء أجور أملاكهم من ساكنيها لقد سلبهم الاستعمار ما كان لهم من سلطة ، ومنح الزراع فيما منحوا من الحقوق الجديدة حق طحن غلالهم في مطاحن أولئك الاقطاعيين .. لا شك انك رأيت في طريقك طاحونة عائلة سان ريمي ؟

– نعم لقد رأيتها ، ولكن يخيل إلي أنها معطلة .

فظللت وجه القس سحابة حزن ، وقال في إيجاز :

– لقد توفي حارسها ، ولم يستطع أحد في هذه الظروف الاقتصادية المرهقة أن يحل مكانه .

– وما السبب في تسمية المنزل (قصر الموت) ؟

– يقال في تفسير ذلك أن أحد المستعمرين قتل بيد أحد الهنود الحمر على مقربة منه

– لقد خيل الي أن هنـــالك أسطورة غامضة أو قصة خفية تتصل بتاريخها .. فإن حارس المصيف الذي أقيم به أصر إصراراً غريباً على ألا أسلك الطريق الذي يخترق الغابة ، ولقد أوهمني أن الممر الذي يمتد في صميمها يتعذر السير فيه ، ولكني رأيت أن قوله محض هراء ، ولذا خطر لي الآن أنه ربما كان يريد أن يبعدني عن المرور بقرب القصر على

انني حينما عرجت على القصر .

وهنا قاطعه القس وقال في لهجة صارمة :

– إن من الخير لانج ترمبلاي أن يهتم بعمله فقط .

وهنا لم يجد تريد جولد بداً من تغيير مجرى الحديث .

وساعدته طلاقة لسانه وبشاشة وجهه على النجاح في غرضه ، حتى أنه لم يخرج من الكنيسة إلا وقد تبادل والقس بطاقتيهما ، ودعاه هذا الأخير إلى قضاء السهرة بعد العشاء في منزله القريب من الكنيسة لاطلاعه على بعض الوثائق التاريخية .

على انه حين استقل السيارة ثانية برفقة روفيير لم يستطع أن يطرد من ذهنه حديث (قصر الموت) .

ولذا سأله أن يفسر له السر في تحذير الحارس ترمبلاي له .. فضحك روفيير وأجاب قائلا :

– لقد وقعت بالقصر حوادث غريبة منذ أن رحل عنه صاحبه هكتور .

– وما هي هذه الحوادث ..

– إن أهل هذه القرية يتعلقون بالأوهام والخرافات ، فهم يعتقدون أن روح صاحبه السابق انياس الذي نقشت باسمه اللوحة التذكارية في الكنيسة تطوف بالغرف المقفرة ليلا وهم لذلك يحرصون أشد الحرص على ألا يقربوا القصر عند حلول الظلام . بل ان منهم من يجتنب المرور على مقربة منه حتى في ضوء النهار ، ولاسيما بعد مصرع حارس الطاحونة .

– وماذا نزل بهذا الحارس ؟

– لقد عثروا عليه ملقى في غدير وقد دق عنقه وجرح رأسه .

ولما جاء رجال البوليس من (كويبك) للتحقيق اعتبر الحادث قضاء

وقدراً ، وقيل في تفسيره أن الحارس هوى من فوق الصخور أثناء الظلام .

ولكن كل إنسان في قرية سان فلورنتين يعتقد اعتقاداً راسخاً أن الحارس لقي حتفه ضحية الروح الشريرة التي تسكن القصر .. أنا لا أود أن تؤمن بمثل هذه الأساطير يا سيدي ، ولكني أحب ان تقتدي بنا وتبتعد عن المرور على مقربة من القصر ..

– ولكن لماذا ؟

– إذن فاصغ الي .. هنالك متشرد عربيد يقيم على ضفة النهر بالقرب من القصر ، وقد نصب نفسه حارساً على تلك البقعة ، فهو يطوف بأرجائها ليلاً ونهاراً . و ..

وهنا هتف تريد جولد في انفعال قائلاً :

– لقد شاهدته بنفسي حينما كنت قادماً اليك .

وراح يسرد ما وقع له على مسامع روفيير ، فلما فرغ قال الرجل في لهجة جدية :

– إذن فإنك قد استهدفت اليوم لخطر جسيم ، فإن ذلك الرجل الملقب بالأعور تتملكه عقيدة غريبة هي أن كل من يدنو من القصر إنما يحاول أن ينتزعه من أصحابه أبناء أسرة (سان ريمي) ..

وفي يقيني أنه فاجأ حارس الطاحونة حينما كان يصطاد في النهر وقضى عليه ..

والحق أن قاضي التحقيق قد اشتبه فيه وأصدر أمره باعتقاله لكنه لم يلبث أن أطلق سراحه لعدم توفر الأدلة ضده .

– وهل معنى ذلك أن يترك هذا المجرم المخبول حراً ليهدد الناس في أرواحهم ؟

فهز روفيير كتفيه وقال :

- لا ضرر من بقائه حيث يقيم ، فإن أهل القرية لا يدنون من القصر بعد مصرع حارس الطاحونة .. إنما أرجو أن يكون في هذا الحادث نذير لك ولرفاقك الذين يقيمون معك بالمصيف ، حتى لا يقترب أحدكم من قصر الموت في المستقبل .

وما كاد هذا الحوار ينتهي حتى انعطف الطريق وبدا لهما المصيف على مبعدة .

الفصل الرابع

سار تريد جولد إلى (الكابينة) وهو يفكر في ذلك الوجه المخيف الذي اطل عليه من بين الأشجار ، ومع انه كان رجلا مثقفا فـــإن ذكرى ذلك الوجه لم تبرح مخيلته . بل لقد خيل اليــه ان تلك الروح التي يزعمون طوافها بالقصر المهجور قد تجسدت وحلت في آهاب صاحب ذلك الوجــه البغيض .

ولكنه ما لبث أن تناسى ذلك الحادث . وانصرف ذهنه إلى مجموعــة الطوابع التي ظفر بها وعلل نفسه بفحصها وتقدير قيمتها مستعينـــا بالمنظار المكبر ومسترشداً بدليل الطوابع

بيد أنه ما كاد يصل إلى الكابين حتى شاهد بداخله شابا يعلو الغبار ثيابه وقد استقرت بجانبه حقائب السفر .

فتذكر زميله الذي سيقاسمه الكابين ، وأدرك أنه سيضطر إلى تأجيل مهمة فحص الطوابع .

ولذلك تنهد وسأل الشاب :

هل أنت الدكتور وود ؟

فأجاب الشاب وهو يبتسم :

- نعم .. أحسبني في حضرة مستر تريــد جولد ؟ إننا في الحق نكاد

نشبه المكتشفين ستانلي وافنجستون ، فإنهما إذا كانا قد اكتشفا مجاهل افريقيا ، فنحن نغزو مجاهل كويبك ، يا له من يوم شديد الحرارة !

وكان الشاب مرحاً يفيض وجهه بشراً .

فقال تريد جولد :

– ما رأيك في قليل من الشراب ؟

وقصد تريد جولد إلى أحد الأدراج والقى به غلاف الطوابع ، ثم جلس مع رفيقه يتناولان الشراب .

وما لبث الطبيب أن قال :

– لا شك ان مجال الصيد هنا فسيح ..

ولكن تريد جولد كان يتفحص الشاب

فقال له :

– أرى ان سيارتك قد أصابها عطب أثناء الطريق ، وإنك استرحت في الغابة ..

فتنهد الشاب وقال :

– هـذا صحيح ، وقد ذهب الحارس للبحث عن جوادين لسحبها إلى هنا .

– لقد كان الطريق خلواً منها حينما اتيت الآن عن طريق الغابة ، ولا بد إذن أنهم قد سحبوها من موضعها .

– لقد اضطررت بعد تعطل السيارة ان احمل هاتين الحقيبتين وأن أسير بهما نحو ميل حتى وصلت الى هنا لكن كيف علمت بهذا الحادث؟..

فضحك تريد جولد وقال :

– كان هذا مجرد استنتاج

فقال الطبيب في دهشة :

– مجرد استنتاج ؟

– هذه مسألة هينة . فان الغبار يعلو ثيابك ومظهرك يدل على انك قطعت شوطا شاقا . ثم انني ألمح اثار شحم اسود يلوث يديك وجزءاً من كم سترتك ، مما يدل على انك كنت منهمكا في اصلاح احدى الالات ولما كنت قد سمعت من قبل انك ستأتي الى هذا المصيف بالسيارة ، فقد كان يسيراً أن استنتج ان هذه السيارة قد أصيبت بعطب أثناء الطريق ، وانك كنت تحاول اصلاحها .

– كل هذا صحيح . ولكنك قررت الآن انني قد استرحت في الغابة فكيف توصلت الى ذلك ؟

فضحك مستر تريد جولد وقال :

– حسناً . انظر الى هذه الورقة الخضراء التي علقت بسروالك (بنطلونك) انها ورقة شجرة . وقد استنتجت منها ومن الغبار الأحمر الذي يعلو حذاءك ، انك جئت الى هنا سائراً في الطريق التي تشق الغابة حيث التراب احمر اللون ، وانك لم تأتي من الطريق العامة حيث التراب أبيض اللون .

فضحك الدكتور وور وقال :

– جدير بمن كان مثلك ان يكون مفتشاً في البوليس بل ولا يبعد ان يكون من رجال البوليس ؟

فهز تريد جولد رأسه وقال باسما :

– لم أحظ بعد بمثل هذا الشرف ، انني أحترف مهنة قد لا تقل عن مهنتك شأناً ، فأنت تشفي المرضى ، وأنا أكسو العراة . انني صانع ثياب يا صديقي .

– تريد جولد ؟ إذن فأنت صاحب محل الأزياء الشهير (باول . تريد جولد . وفلاك) .

– أنا الشريك الأكبر ، واسمي الكامل هوراس باول تريد جولد . آه . .

هوذا جرس العشاء يقرع .. هيا بنا .

وصل تريد جولد والطبيب وود إلى الكابينه المخصصة لتناول الطعام ، فإذا المصطافون جلوس حول الموائد بلباس الصيد .

وما كاد يراهما (تسيراند) وكيل مسيو (فور جيرون) صاحب المصيف حتى أقبل يحتفي بهما فقدمهما الى زوجته وفتاتيه الصغيرتين ..

ثم إلى بقية الضيوف ..

وهم : الجنرال (ريس) الضابط البريطاني المتقاعد وزوجته اللادي (جوينـدولن) وابنهما الصغير (شينر) و (مونتجومري) الأمريكي وزوجته ، وآدمز المحامي .

ولقد احتفى هذا الأخير بمستر تريد جولد بصفة خاصة وأفسح له مكاناً إلى جانبه .

ثم سأله قائلا بعد أن استقر به المقام

– كيف قضيت وقتك بعد الظهر ؟

فأنبأه تريد جولد بأنه قصد إلى القرية ، على انه لم يشأ ان يطلعه على ما حدث له مع روفيير .

ثم استطرد قائلاً :

– وبهذه المناسبة ، لقد وقع لي حادث غريب ..

وهنا نظر اليه الجميع وقد ساد بينهم الصمت ، فقص عليهم قصة ذلك الوجه الغريب ..

ثم ختمها بقوله :

– ويلوح لي ، انني قد نجوت بأعجوبة ، من شر ذلك المجرم المخبول .

فضحك آدمز في شيء من التهكم ..

ثم قال :

– الواقع انك تبالغ في تجسيم المسألة ، فليس هذا الذي تنعته بالخبل سوى سكير متشرد ..

وقال تريد جولد في دهشة :

هل تعرفه ؟

– إني أعرفه حق المعرفة ، فقد اعتدت ان أذهب إلى القصر منذ نحو عشرين عاماً ، وكنت أرى ذلك المتشرد الملقب بالأعور لا يفيق من الشراب إلا ليعود اليه .. على انني حسبته قضى نحبه من تأثير الادمان من سنوات مضت .

وصمت مستر آدمز .

وقال الضابط بصوته الحاد :

– سواء كان ذلك الرجل الملقب بالأعور مجنوناً ، أو عاقلاً .. فليس من الصواب ، أن يترك سكير متوحش مثله ، يجول طليقاً حول المصيف !. اسمع يا (شينر) ... عليك ألا تحوم حول هذا القصر ..

وقال الصبي في هدوء :

– كما تشاء يا أبي

وقال تريد جولد :

– لقد قيل لي فضلا عن ذلك ان هنالك شبحاً يطوف بأرجاء القصر ، بل هم يتبسطون فيقولون ان روح أحد أصحابه القدامى تطوف بالغرف المقفرة أثناء الليل .

فحملق مستر آدمز نحوه ..

ثم قال مستفسراً :

- أيمكنك أن تقرر ان أحداً من القرويين قد سمع حقاً وقع اقدام الشبح بين جوانب القصر ؟

فضحك تريد جولد وقال .

- تلك هي الاشاعة الرائجة ، وأنا أروي ما سمعته بلا تعليق .

لكن آدمز لم يشاركه ضحكته

وخيل إلى تريد جولد ان وجه هذا المحامي قد تصلب وبدت عليه آثار لم يأنسها عليه من قبل ..

على أن أحداً منهم لم يستأنف هذا الحديث ، فقد انفض الجميع من حول المائدة ، ومضى تريد جولد إلى حيث وضع طوابعه البريدية فراح يفحصها في فضول !

الفصل الخامس

ما كاد تريد جولد يستقر وينشر أمامه مجموعة الطوابع التي ابتاعها حتى رأى ان الضوء الكهربائي الضئيل ، لا يساعده على أداء مهمته . ولذلك أرجأ المهمة الى وقت آخر ، وخرج يتنزه فوق الممر الخشبي ، الموصل بين الكبائن .

ولحق به زميله وود بعد قليل ، فتجاذبا أطراف الحديث

ثم قال تريد جولد .

– سأقصد الآن الى القرية لزيارة القس ، فقد وعد بأن يطلعني على بعض الوثائق التاريخية . فهل لك في ان ترافقني .

لا بأس من الذهاب معك حتى حدود القرية . فإن السير يحلو في هذه الليلة الصافية .

– ان الطريق يجاوز ثمانية أميال . وهنالك طريق أقصر داخل الغابة .. بيد انني لا أحب ان اقترب من ذلك القصر مرة أخرى . وسوف أستقل سيارتي .

– سأرافقك . لكن اين يقع هذا القصر المهجور ؟

– أرجو الا يكون معنى ذلك انك تعتزم الذهاب اليه .

فضحك الطبيب ورد قائلاً :

- وما المانع ؟

- وهل نخاطر بالتوجه الى عرين ذلك المجنون الخطر .

- خل عنك هذا يا صاحبي . فأكبر الظن ان ذلك الرجل مخلوق مسالم .. الم تسمع ما قاله آدمز في هذا الصدد ؟

وقفت السيارة عند منزل القس حول الساعة التاسعة ، وتقدم تريد جولد فدق جرس الباب ثم قال يحدث الدكتور وود :

- هلم معي أيها الصديق .

فقال وود :

- بل أفضل ان أقوم بجولة ، في ربوع القرية واذا لم تجدني بعد انتهاء زيارتك فلا تنتظرني .

وفتح الباب في هذه اللحظة فشغل مستر تريد جولد عن صاحبه هنيهة . ولما تحول اليه بعد ذلك وجد انه اختفى من أمامه .

ودخل تريد جولد منزل القس فألفى هذا الأخير جالساً الى مكتبه وأمامه بعض الوثائق والمخطوطات القديمة . ووجد معه الاستاذ بوشيرون مسجل العقود وقد استقدمه خصيصاً الى منزله ومعه طائفة اخرى من الوثائق المتصلة بتاريخ المقاطعة .

ولما بلغت الساعة العاشرة ، شعر تريد جولد بوخز الضمير ، لأنه ترك زميله وود كل هذه المدة ينتظره خارج المنزل فنهض مستأذناً في الانصراف .

على انه لم يجد أثراً لصاحبه والفى الطريق مقفرة من المارة . فهز كتفيه ووثب الى السيارة وانطلق بها .

وبلغ المصيف بعد نحو ثلث ساعة ، فألفى الكابينة الرئيسية مظلمة ، ولم يهتد الى أثر للطبيب وود ، كذلك وجد الكابينة رقم ٣ التي يقيمان بها معاً خالية .

وما كاد تريد جولد يضيء النور الكهربائي حتى سمع وقع خطوات فوق الممر الخشبي الموصل بين الكبائن .

فأطل برأسه وشاهد آدمز مقبلاً عليه فسأله عن الدكتور وود فقرر انه لم يره بعد الفراغ من العشاء ، واضاف الى ذلك ان سائر المصطافين قد ذهبوا للنوم ، اما هو فقد اصيب بأرق لم يجد علاجاً له الا ان يستقل قارباً ويقوم فيه بنزهة في البحيرة .

ثم حيا مستر تريد جولد وسار في طريقه الى الكابينة رقم ٤ على بعد نحو خمسين متراً .

ودلف تريد جولد الى الكابينة ثانية وخلع قبعته وسترته وهم بتناول كأس من الشراب قبل ان يأوي الى فراشه

وحينئذ ، سمع فجأة صيحة مختنقـــة ، صادرة من مكان قريب . وأعقب هذه الصيحة صوت التحام اجسام ، مما ينبيء بوقوع صراع بين شخصين

هرع تريد جولد الى الخارج ، فشاهد باب الكابينة المجـــاورة له يدفع بعنف ، ووقع بصره على مستر آدمز وقد خرج الى شرفة الكابينة وهو ممسك بتلابيب شخص يتلوى بين يديه محاولاً الإفلات والفرار .. لكن آدمز جذبه بعنف الى الممر قرب مصباح معلق باحدى الأشجار وما كاد يتميز وجه غريمه حتى انفجر صائحاً :

ـ أهذا انت ايها الشرير ؟. قد فاجأتك اخيراً .

وقبض آدمز على رأس أسيره بكلتا يديه وراح يضرب به جذع الشجرة وقد بلغ منه الغضب والإنفعال مبلغاً عظيماً ..

أما تريد جولد ، فقد روعه هذا المشهد . هرع الى ناحية آدمز ، وهو يصيح قائلاً .

ـ تريث يا مستر آدمز .. انك ستقتله .

وما كاد المحامي يسمع نداء تريد جولد حتى أمسك عن البطش بغريمه ، ودفعه دفعة قوية ، فهوى مترنحاً الى جذع الشجرة . على انه لم يلبث ان استوى على قدميه في خفة مدهشة ، ووقف في مكانه ، وقد انحنى رأسه فوق صدره .

ولشد ما كانت دهشة مستر تريد جولد حين شاهد أمامه ذلك الوجه الذي أطل عليه من الأشجار في حديقة (قصر الموت) .

ووقف الرجل الملقب بالأعور يحرك رأسه ذات اليمين وذات الشمال ، وأرسل من عينه اليسرى نظرة تنم عن التحدي والاستهتار . وما لبث ان انسل مبتعداً لا يلوي على شيء وابتلعه الظلام ..

أما آدمز فإنه لم يحاول ان يتبعه ، وإنما نظر إلى تريد جولد في شيء من الندم ثم قال :

– إنني آسف لما بدر مني .. فقد كدت أفقد صوابي حينما فاجأته داخل الكابينة .. ولقد حاول ان يختبىء في الحمام ، عندما أحس بقدومي ..

– هل سطا على شيء ؟

فهز المحامي رأسه هزة الواثق المطمئن .

فقال تريد جولد :

– يحسن بنا أن نخطر الحارس .. إذ يحتمل ان يكون قد انسل إلى الكبائن الأخرى .

فضحك آدمز وقال :

– إنه ليس لصاً . وأنا أعرف ماذا كان يبغي .

وضحك مرة أخرى ثم استطرد قائلا :

– لا تقلق . لقد أعطيته درساً لن ينساه وأحسب انه لن يتسلل ورائي بعد الآن . طاب مساؤك ..

وأحنى آدمز رأسه محيياً ثم عاد إلى كابينته

ولاحظ تريد جولد ان آدمز لم يشأ ان يبوح له بما كان الأعور يريد منه . وتذكر في هذه اللحظة ، ان المحامي قد نعته أثناء العشـــاء بأنه سكير متشرد . .

وخيل اليه ان هذه الزيارة الخفية قد ترجع الى نزاع قديم بين الاثنين حينما كان المحامي يقوم بزياراته للقصر . .

على ان تريد جولد رأى آخر الأمر انهذه الأمور لا تعنيه فعاد إلى فراشه واستغرق في النوم .

* * *

استيقظ تريد جولد من رقاده حينما أحس بالضوء يداعب بصره ففتح عينيه ورأى وود واقفاً بجانب المائدة ، فسأله قائلا :

– كم الساعة الآن ؟

– نحو منتصف الليل . هل لي أن أتناول كأساً من الشراب ؟

فقال تريد جولد وهو يتثاءب :

– خذ ما تشاء . ولكن بالله أين كنت حتى هذه الساعة ؟!

فلم يجب الطبيب بل راح يصب الشراب في الكأس وازدرده وهو يضحك ضحكة مرحة . .

فقال تريد جولد وهو تحت تأثير النوم :

– ماذا يضحكك يا صاحبي ؟

فثاب الشاب إلى نفسه كأنما أفاق من حلم وأجاب قائلا :

– لا شيء . .

وشرع يخلع ثيابه .

على انه لم يلبث ان قال فجأة :

- تريد جولد !. أيها الصديق العتيد !. أخبرني ما هو لون العيون التي تستحيل بين دقيقة وأخرى من عسلية إلى زرقاء ؟

فتثاءب تريد جولد ثانية وقال :

- ما هذا الهراء ؟. دعني أنام أيها الرجل !

ثم تقلب في فراشه واستقبل الجدار واستسلم للرقاد .

الفصل السادس

إستحوذت قصة القصر المهجور ، أو القصر الذي تطوف به الأشباح على عقل الطبيب الشاب وود ، واعتزم ان يقصد اليه ويستوثق من صحة الشائعات التي تذاع عنه .

ولما رأى ان تريد جولد قد امتنع عن الذهاب اليه حينما كان برفقته في السيارة في طريقهما إلى بيت القس ، فإنه أخفى عزمه ، وانتهز فرصة انشغال صاحبه عنه عند وصوله الى بيت القس ، فانسل بين منازل القرية موليا وجهه صوب الغابة .

وكان الليل قد بدأ يرخي سدوله .

وفيما هو يجد في السير ، لاح له شبح القصر يرتفع في الفضاء شاهقاً أبيض اللون ..

فما ان بلغه حتى نفذ من باب الحديقة ، وشرع يتقـــدم فوق الأعشاب الكثيفة ، وقد أخذ قلبه ينبض بشدة من فرط الانفعال .. على انه ما لبث أن غالب شعوره وتقدم إلى نوافذ الطابق الأرضي وراح يعالج فتحها ، فألفاها محكمة الإغلاق ..

دار حول القصر حتى وجد باباً خلفياً تؤدي اليه درجات قليلة فصعد اليه وعالج فتحه بهدوء فاستجاب الباب دون أقل عناء ..

وفي هذه اللحظة سمع خلفه وقع أقدام خفيفة الوطء فاستولى عليه الفزع . وقفز من مكانه باحثاً عن مصدر الصوت .

فوقع بصره على فتاة نحيلة القوام ، عارية الرأس ، ترتدي ثوبـــاً أسود اللون ، وقد انتصبت واقفة بأسفـل درجات السلم ، وراحت تحملـق اليه بعينيهــا الواسعتين اللامعتين ، وقـد نمت نظراتها عن الخـوف والاضطراب . فأخذ الشاب بظهرها ، ووقف يحدق اليها بدوره ، كأنما أسرته عيناها . .

على انه لم يلبث ان ابتسم لها مشجعاً وقال :

— لا تجزعي . لقد كنت القي نظرة على هذا المكان . . ولم يخطر لي أن أحداً يقيم هنا . .

ولكنها لم تجبه ، بل اندفعت بالقرب منه وفتحت الباب ، ونادت بصوت خافت :

— جاك . . جاك . .

فلما لم يجبها أحد من الداخل رفعت صوتها في حذر كأنما تخشى أن يسمعها أحد وكررت النداء :

— جاك . اين انت ؟

لكنها لم تظفر بجواب . . فتحولت الى الشاب الذي كان يراقبها صامتاً ، وقالت وهي تشير بيدها إلى خارج المنزل :

— يوجد في الخارج شخص مريض . لا بد من إحضاره الى داخل المنزل . . لكنني لا أقوى على حمله بمفردي . فهل لك في مساعدتي ؟

فقال الشاب على الفور :

— عن طيب خاطر . . وبهذه المناسبة ، إني طبيب . .

فقالت لاهثة الأنفاس :

— طبيب ؟ . هلم معي بسرعة .

وتقدمته في خفة وعجلة إلى واجهة القصر الأمامية ، ثم تحولت نحو ممر يفضي إلى الغدير. راحت تجري بسرعة حتى كاد يتعذر على الشاب اللحاق بها في الظلام الذي أخذ يتكاثف رويداً . ولم يملك الشاب إلا ان يعجب برشاقتها ونشاطها .

وما لبث ان وقع بصره على شبح رجل كهل فوق صخرة كبيرة على ضفة الغدير . وقد سقطت قبعته الى الأرض فكشفت عن شعره الفضي الغزير .. وكان يقبض بيديه على صدره ويئن أنيناً خافتاً

أما الفتاة فقد جثت على ركبتيها بجانبه وطوقته بذراعيها في رقة وحنان وهتفت قائلة :

– إنني اتيتك بطبيب يا جدي وسنحملك الى داخل القصر .

وركع الدكتور وود الى قرب الشيخ وقال في رفق وهو يمعن النظر في وجهه المحتقن :

– ماذا حدث ؟

فقال الرجل في نبرات متهافتة ، وبلغة إنجليزية تشوبها رطانة غريبة :

– كنت أسير في رفقة حفيدتي فشعرت فجأة كأن صدمة أصابتني في صدري .. وابتدأ هذا الألم الفظيع يفتك بي . هنا ..

ورفع يداً نحيلة الى صدره .. وتقلصت شفتاه الزرقاوان فجأة في نوبة ألم حاد وراح يلهث قائلاً :

– رباه كم أتألم .

ونشط وود لأداء واجبه الإنساني وسأل الفتاة في صوت خافت .

– أتعرفين انه كان يشكو من مرض في القلب ؟

فأومأت برأسها علامة الايجاب ، فقال وود :

– وكيف كنتم تعالجونه ؟

– كان يتناول مسكناً ألمانياً . يسمى (ميتافيلين) ..

فقال الطبيب وهو يقلب شفتيه .

– ميتافيلين ؟. هذا ما خطر لي لا بد ان نحمله الى الفراش . هل لديكم بعض القهوة ؟

– نعم ، فقد جهزت قليلاً منها .. ولكنني لا أعلم ، ان كانت لا تزال دافئة .

– اذن فاسبقيني ودفئيها . ثم أعدي ماء ساخناً وانتظري بالمنزل . في وسعي ان أحمله بمفردي ..

فهرعت الفتاة لتنفيذ هذه التعليمات . بينما انحنى الشاب فوق الكهل وحمله بين ساعديه القويتين . وهنا فتح المريض عينيه ، فإذا هما مفعمتان خوفاً . همس قائلاً :

– ان شعوري بدنو أجلي يملأ نفسي رعباً ..

فقال الشاب في هدوء :

– ان قلبك ضعيف ، يا سيدي . ولكن لا تجزع . فسوف تنجو هذه المرة .

وما كادت الفتاة تشعر باقترابه حتى خرجت من الباب الخلفي . ثم سبقته الى الداخل ، وتناولت شمعة مضاءة كانت موضوعة في مطبخ القصر وتقدمت الشاب في ممر ضيق يفضي الى بهو عار من الأثاث ، تتفرع منه بضع غرف ، كانت احداها مفتوحة .

فدخل الشاب الى هذه الغرفة وشاهد بها على ضوء الشمعة مكتباً صغيراً وموقداً تترهج فيه النيران وفراشاً صغيراً بالقرب من الجدار .

وفيما كان يضع الشيخ على الفراش راحت الفتاة تضيء مصباحاً زيتياً فوق المكتب ثم همست قائلة :

– سأذهب لإحضار القهوة ..

وغابت قليلاً ثم عادت تحمل صحفة وكيسين من الجلد بهما ماء ساخن .

فتناولها الطبيب ووضعها عند قدمي المريض ثم تحول الى الفتاة وقدم اليها قنينة صغيرة وهو يقول :

ــ أتعلمين انه كان يتناول هذه الأقراص ؟ لقد سقطت هذه القنينة من ثيابه حينما ارقدته على الفراش ..

فهزت الفتاة رأسها وقالت :

ــ كلا ، لا علم لي بذلك . ولكن ما هي هذه الأقراص ؟

ــ (مورفين) . سأعطيه قرصين منه لكي يستريح

وأسلم الشيخ نفسه الى الطبيب فابتلع القرصين وتجرع القهوة ، ثم تمدد فوق الفراش وأغمض عينيه .

أما الطبيب الشاب فإنه جلس على مقعــد بجوار الفراش وراح يراقب المريض . ولم يتمالك من ان يجيل بصره في أرجاء تلك الغرفة العارية ، وهو يعجب من وجود هذين الشخصين في مثل هذا المنزل المهجور .

ولما أحــدث المخدر تأثيره ، ونام الكهــل ، نهض الشاب قائماً وقال يحدث الفتاة :

ــ أحب ان أتحدث اليك قليلاً .. ولكن ليس هنا .

فأومأت الفتاة برأسها مجيبة وتناولت الشمعة وقالت :

ــ تعال معي .

وقادته إلى حجرة تتفرع من البهو فرأى في وسطها مائدة انتثرت عليها بعض الكتب والمجلات .

وكانت نافذتها مفتوحة قليلاً ، فأغلق باب الغرفة وقال لها في لهجة رزينة :

ــ لا مناص من مصارحتك بالحقيقة .. إن جدك مريض .

فضمت راحتيها فوق صدرها وقالت :

ــ أتعني . أتعني انه سيقضي نحبه ؟

وعادت اليه بعد لحظات وقالت له :

– لقد كان كرماً منك أن تمد إلي يد المساعدة ، وإني وجدي مدينان لك بالشكر ، على انه لا ينبغي ان أحتجزك أكثر من هذا

– ولكني لا أستطيع ان أتركك على هذا الحال إن جدك ..

– سأعنى به أنا وجاك وسنتبع تعليماتك حرفياً ..

– الواقع ان الواجب يقضي بنقله إلى المستشفى . ولكن هــذا شأنك بالطبع . وعلى كل حال فأنا أقيم بالمصيف الكائن على الضفة الأخرى من البحيرة وسوف أحضر غداً كي أرقب حالته الصحية .

فهزت الفتاة رأسها وقالت :

– بل أرجو ألا تفعل ، أطلب اليك أن تقسم لي بشرفك ألا تذكر لإنسان انك شاهدتنا هنا ..

– ولكن لماذا ؟

فلمعت عيناها غضباً وهتفت قائلة :

– لا تسألني ! وكفى !.

– ألا يمكنك أن تدركي ، انني لا أقصـد سوى مساعدتك ؟. لكن لك أن تطمئني إلى أنني لن أطلع أحداً على هذا السر ، إذا كنت تخشين ذلك ..

ثم قال في صوت رقيق :

– ألا تخبريني من أنت وماذا تفعلين هنا ؟

فهزت رأسها وقالت :

– لا ينبغي أن تلقي علي هذا السؤال .

وكفت عن الكلام بغتة وأرهفت السمع لحظة ثم قالت :

صه هل سمعت شيئاً ؟

– كلا .

– لعلك تلاحظ ، ان الجالس في هذه الحجرة ليلاً ، يسمع جلبة غريبة .

– ما هي على وجه التحديد ؟

– وقع أقدام ، يبدو انها تصدر من داخل المنزل .

– هذا هراء .. وإذا كنت حقاً قد سمعت شيئاً فرجعه إلى ذلك الأعور الشريد الذي يطوف بهذه الناحية

– أتعني ماتياس العجوز ؟. إذن ، فاعلم انه لم يطأ بقدمه أرض هذا القصر قط . ومهما يكن من أمر ، فهو نفسه يفزع فزعاً شديداً من الأشباح .

– إذن ، فأنت تعرفين هذا العربيد ؟

فأحنت رأسها ولم تجب ..

– وكم مضى عليكم هنا ؟.

– هذه هي الليلة الثالثة .

وتقدمت الى الباب وفتحته قائلة .

– لا مناص من أن تذهب الآن ..

– وجدك ؟

– سنبقى هنا في الوقت الحاضر . وسأجتهد في ان أوفر له أسباب الراحة والسكينة نزولاً على إرشاداتك . ولكني على يقين من ان ذلك ليس سهلا يسيراً فإنه كان شديد الانفعال منذ جئنا إلى هذا القصر .

فقال الدكتور وود :

– يستطيع ان يتعاطى حبوب الميتافيلين في الصباح كالمعتاد وسأمر بكم غداً صباحاً

ولكن الفتاة هزت رأسها باصرار وأجابت :

– كلا . كلا . لا يجب ان تحضر . فقد يتعقبك أحد على أنه إذا

سامت حاله فإنني لن أتردد في ان أبعث اليك بخادمنـا جاك انك تقيم في المصيف ، اليس كذلك ؟ ما اسمك ؟

– إسمي الدكتور (وود) . جورج وود ، وأقيم بالكابينة رقم (٣).

فأطرقت برأسها .. وتقدمته الى الخـارج عن طريق المطبخ ، فتبعها . ومرا في طريقهما برجل في مقتبل العمر ، أسمر البشرة . كان يقرأ إحدى الصحف . فترك الصحيفة ونهض واقفاً احتراماً للفتاة وضيفها وقد أدرك الدكتور وود ان هذا الرجل لا بد ان يكون هو الخادم جاك .

الفصل السابع

بدأ الدكتور وود يأنس الى تريد جولد ، شريكه في الكابينة ، فقد وجد فيه زميلا دمث الخلق ، طيب المعشر ، يدل صفاء عينيه الزرقاوين على نقاء السريرة .

ففي صباح اليوم التالي ، إستأجر الاثنان قارباً وانطلقا به لصيد السمك في البحيرة كما اتفقا في اليوم السابق .

وعادا في المساء بكمية غير قليلة من الأسماك الصغيرة . وكانا في حالة إعياء وتعب .

فتناولا طعام العشاء مع باقي نزلاء المصيف ثم جلسا في شرفة (الكابينة) وراحا يرقبان هبوط الليل وانتشار الظلام على صفحة البحيرة .. ويطردان البعوض كلما سمعا طنينه حول آذانهما ..

وإنهما كذلك ، إذا بهما يريان الجنرال (ريس) مقبلا عليهما .

سألهما :

– هل رأى أحدكما الغلام (شينر) ؟! انه انطلق بعد الغداء ولم يعد . والساعة الآن تكاد تكون العاشرة . وقد حان الوقت الذي يجب أن يأوى فيه الى مضجعه ..

ولكنهما أجاباه بأنهما لم يبصرا بالصبي . فانصرف الجنرال وهو ساخط على

غلامه أشد السخط

ولما ابتعد الجنرال تحول ترید جولد الى زمیله ، وقال له :

– أرجو الا یکون قد اصاب الصبي مکروه .

فتثاءب الدکتور وود واجاب :

– من المحتمل ان یکون قد انطلق بالقارب وفقد احد مجذافیه فعوقه ذلك عن العودة مبکراً .

– هلم بنا الى المکان الذي ترسو عنده القوارب على ضفة البحيرة الى ان نراه مقبلا فنخطر بذلك أباه حتى لا یستولي علیه القلق .

وانطلق الاثنان الى المرسى ولکنهما وجدا ان الجنرال ریس ومستر آدمز قد سبقاهما إلى هناك .

وما هي إلا لحظة ، حتى أومأ آدمز بأصبعه نحو قارب یشق أمواه البحیرة .. ویقترب من المصباح الذي یضيء طیلة اللیل ، على ضفة البحیرة .

وما لبثوا جمیعاً ان رأوا شینر ، ممسکاً بالمجذافین . فصاح أبوه في غضب .

– ما معنى هذا یا غلام؟

فوثب شینر من القارب إلى الضفة وقال منفعلا :

– لقد ذهبت الى القصر المهجور ، واعتقد انني رأیت الشبح کذلك .

فاشتد بالجنرال الحنق والغضب وصاح :

– اذکر انني حظرت علیك بصفة خاصة ان ..

لکن آدمز قاطعه بأن سأل الفتى :

– هل تعني حقاً انك رأیت احداً في القصر المهجور ؟!

فأجاب الغلام :

ـ لا اقصد اني رأيت احداً عياناً ، إنما الواقع انني رأيت بصيصاً من النور منبعثاً من ثقوب نافذة مغلقة.. كذلك سمعت وقع خطوات، فلم أشأ ان ارى أكثر من ذلك ، وأطلقت ساقي للريح .

فأمسك أبوه ساعده بعنف وقال له :

ـ عليك الآن ان تذهب الى فراشك وسيكون لي شأن معك غداً .

فقال آدمز :

ـ دع الفتى يحدثنا عن الشبح يا جنرال ، فالموضوع طريف ، يثير الفضول .

وهنا تحول تريد جولد الى الدكتور وود ، وقال له بصوت خافت :

ـ لا شك ان ذلك الشريد الأعور قد نفذ إلى القصر .

ولكن الطبيب الشاب كان يحملق في الظلام ، وهو مستغرق في التفكير ، فلم يجب .

ولم يعبأ الجنرال بما قاله آدمز ، بل صرخ في ولده قائلا .

ـ إذهب الى فراشك في الحال ، لا اريد ان اسمع بعد الآن بهذه الترهات الصبيانية .

فانطلق شيفر في الطريق الى كابينة الجنرال ريس ، وتبعه أبوه ، وعاد تريد جولد والدكتور بدورهما الى شرفة الكابينة .

وتهالك الدكتور وود على مقعده ، وراح يدخن غليونه وهو صامت ، ولم تكن لتريد جولد رغبة في الكلام ، لأنه كان متعباً بعد رحلة ذلك النهار ، فأشعل بدوره لفافة تبغ .

وظل يدخن حتى غلبه النعاس ، وأفلتت لفافة التبغ من بين شفتيه ، وسقط رأسه فوق صدره ، ولكنه ما لبث ان استيقظ على صوت مستر مونتجمري وهو يصيح

ـ آلو . دكتور وود .. كم الساعة الآن . فإن ساعتي قد

تعطلت .

– الساعة الآن الحادية عشرة إلا الربع .

وهتف تريد جولد :

– بالله !. لقد غلبني النعاس !. ولكن ما هـذا ؟. ان المطر يهطل بشدة وقد تحولت قطراته الى كرات ثلجية تطرق النوافذ .

فأجاب الدكتور وود :

– هذا انقلاب عرضي في الجو لا يلبث ان يزول .

واستغرق في الصمت مرة أخرى .

كان في شغل بالتفكير في تلك الفتاة التي رآهـــا في القصر المهجور .. وقد خطر له ان الضوء الذي رآه (شينر) كان ولا بد منبعثاً من غرفة الشيخ المريض .

قال لنفسه : ان الحكاية التي رواهـــا شينر عن وجود ضوء بالقصر الذي يعتقد الجميع انه مهجور ، سوف تذيع في المصيف والقرية ، فماذا يفعل ؟؟..

هل ينطلق الى الفتاة فيحذرها لكي تبحث عن مخبأ آخر ؟!

لكن أين تستطيع الفتاة وجدها المريض ان يذهبا في مثل هذه الليلة العاصفة .

وفجأة هدأت العاصفة الثلجية ، وتنبه وود من تأملاته على صوت زميله وهو يقول :

– الساعة الآن الحادية عشرة .. لقد حان موعد الرقاد ، على مـــا أعتقد .

فأجابه الطبيب :

– صبراً لحظة .

ذلك انه فكر في انه بستطيع استخدام سيارته لتحذير الفتاة وجدها ،

ونقلها إلى مخبأ آخر .

ولكنه عاد فتذكر أن سيارته لا تزال معطلة .. وهنا خطر له أن يستخدم سيارة صاحبه تريد جولد ، ولكن ذلك معناه أن يبوح لهذا الأخير بسر الفتاة ..

ولكن لماذا لا يبوح له بهذا السر ؟ ألا توحي ملامح تريد جولد وأقواله وأعماله بالثقة والطمأنينة .

وكانت الأنوار قد بدأت تختفي من الكبائن واحدة بعد أخرى .. فلما فرغ الدكتور وود من قصته .. كان الظلام يخيم تماماً على المصيف .

وقد أصغى تريد جولد إلى حديث صاحبه في فضول واهتمام ..

وأخيراً قال :

– إذن فالضوء الذي رآه شيتر الصغير كان منبعثاً من غرفة الشيخ المريض ..

– لا ريب في ذلك .

– أظن انني أستطيع أن أنبئك بهوية هذا الشيخ ؟

– ماذا تعني ؟ من هو ؟

– إنه صاحب القصر .

– صاحب ماذا ؟

– إنه وريث أصحاب هذه المنطقة الذين يرجع تاريخ سيادتهم إلى عهد الحكم الاقطاعي .

ثم راح يفسر للطبيب نظام الحكم الاقطاعي في تلك المنطقة كما أوضحه له القس وختم حديثه بقوله :

– والظاهر ان هذا الشيخ قد وقع في شبابه في ورطة ما فاضطر إلى الرحيل ، واذكر ان مستر آدمز قال لي شيئاً بهذا المعنى ونحن نتناول

الطعام أمس .

– وإذن فالرجل قد عاد أخيراً إلى قصر آبائه وأجداده وتوارى بين جدرانه .

– ذلك ما أعتقده .. ألم ترسل الفتاة في طلبك بعد تلك المقابلة الأولى ؟

فهز الطبيب راسه وقال :

- كلا ، إنها لم ترسل في طلبي بعد .

– إنني لا أتمالك من الشعور بالحزن والأسف على الفتاة إنها على جانب كبير من النشاط واللباقة ، وإن كانت متعجرفة نوعاً ما .. وقد كان يسرني أن أعاونها بقدر ما أستطيع ، ولكن لماذا لا نذهب اليها الآن بسيارتك ؟

ونظر إلى زميله نظرة رجاء واستعطاف ، ولكن سؤاله أدهش تريد جولد فهتف :

– أنذهب اليها في مثل هذه الساعة من الليل ؟ كلا .. كلا يا عزيزي ليست لي القدرة على القيام بهذه الرحلة الشاقة فأنا متعب ، وسأنطلق في التو واللحظة إلى فراشي . ولكن ما هذا ؟

ذلك انه سمع في تلك اللحظة مجذافاً يتحرك في الماء بسرعة .

قال الدكتور وود :

- انني أرى قارباً مقبلاً ، ولكن من ذا الذي يخرج بالقارب في مثل هذه الساعة ؟

– لا بد انه مستر آدمز ، فقد قال أمس أنه يميل إلى التجذيف .

ووصل القارب إلى حافة البحيرة ، ووثب منه شخص يرتدي معطفاً من المطاط ، فجعل ينظر حوله كمن لا يعرف أين يجب أن يسير .

على ان الدكتور وود ما لبث أن رأى وجهه على ضوء المصباح فهتف بغتة :

– هذا جاك ، خادم الفتاة .

ووثب من مكانه فأسرع إلى حيث كان الخادم ، وتبعه تريد جولد عن كثب .

ورآه جاك فاقترب منهما ورفع قبعته محيياً .

وهنا رأى الدكتور العرق يتصبب على جبينه .

هتف الرجل بالانجليزية السقيمة :

– إنني سعيد برؤيتك يا سيدي الطبيب ، إن الآنسة تطلب اليك أن توافيها على عجل فإن سيدي في غيبوبة ، ولم تستطع إعادته إلى رشده .

الفصل الثامن

هتف تريد جولد :

– إذن فساعد السيارة ..

وانطلق مسرعاً .

وقال الدكتور وود يحدث الخادم :

– إذهب معه وسالحق بكما في الحال .

وقصد إلى الكابينه ، واختطف حقيبته وأدواته ، ومصباحه الكهربي وأسرع إلى حظيرة السيارات ..

ولمـــا بلغها كان تريد غولد قد أدار محركها ، فوثب إلى قربه ، وجلس الخادم في المؤخرة ، وما هي إلا لحظة حتى انطلقت السيارة على حافة البحيرة بأقصى سرعتها .

قال تريد غولد محدثاً صاحبه في همس :

– لقد أردت الاستفسار من الخادم عن حقيقة سكان القصر .

ولكنه قال بأنه تلقى أوامر صارمة بألا يذكر أسماء ، على أن ذلك لا يغير رأيي . فأنا واثق ان الشيخ الذي تحدثت عنه ، هو صاحب القصر .

ولما كانت جميع الدلائل تدل على أن وطأة المرض قد اشتدت عليه فأرى

من الأوفق أن نمر بالقس وأن نصطحبه معنا .

واستمرت السيارة في طريقها ..

وأراد الطبيب أن يقف على المزيد من التفصيلات فانثنى إلى الخادم وسأله عما حدث .

فأجاب بأن الفتاة أقامت الليل كله بجانب فراش جدها ، وأن النهار التالي انقضى بسلام إلى أن اقبل المساء فطلب الشيخ إلى حفيدته أن تذهب إلى فراشها . فأطاعت .

ولكنها استيقظت من نومها بعد ذلك ، فلقيت جدهـا مرتدياً ثيابه وممدداً على أرض غرفة الطعام ، وهو لا يتكلم ولا يأتي بحركة .

فتعاونا معاً على نقله إلى فراشه

ومن ثم أمرته الفتاة بالبحث عن الطبيب .. فاجتاز الغابة سيراً على قدميه .. وكان في نيته إذا لم يجد قارباً أن يدور بحافة البحيرة ماشياً كذلك ..

ووقفت السيارة أخيراً بباب القس !

وقرع الدكتور وود الباب ، فأطلت شقيقة القس من إحدى النوافذ ، وردت على سؤال الطبيب بأن القس لم يعد بعد من مدينة (تروا بون) القريبة !

وعندئذ طلب اليها وود أن تطلب من القس حال عودته من (تروا بون) أن ينطلق في الحال إلى القصر ، لأن هناك شخصاً يحتضر !

وسألت شقيقة القس عن هذا المحتضر !

ولكن الطبيب لم يجبها ، بل وثب إلى السيارة فانطلقت في الطريق إلى القصر !

وقبل أن تقف السيارة تماماً أمام القصر ، كان الطبيب قد وثب منها وحقيبته في يده .

وكان الظلام مخيماً على القصر ، فأضاء وود مصباحه الكهربائي ، ونفذ إلى الداخل من خلال الباب الخلفي ، واجتاز المطبخ ونفـذ إلى الدهليز .. ورأى نوراً ضئيلاً ينبعث من باب إحدى الغرف فترجح لديه انها غرفة الشيخ المريض ..

أسرع إلى هذه الغرفة .

وهناك وجد الشيخ مرتدياً كامل ثيابه وممدداً في فراشه ، وهو شاحب اللون ، مغمض العينين !

فوضع وود حقيبته على إحدى الموائد ..

وظن لأول وهلة انه وحده بالغرفة ، ولكنه ما لبث أن رأى الفتاة تبرز له من أحد الأركان المظلمة .

سألها بحدة ، وهو لا يرفع بصره عن الشيخ الممدد في الفراش :

— لماذا سمحت له بالنهوض ؟

فأجابت وهي تجذب بأصابعها أطراف منديل كان في يدها :

— إنه الح عـلي في أن اذهب إلى فراشي لأستريح ، وقـد استولى علي النوم ، وخيل الي عندما استيقظت انني سمعت صرخة مدوية فـأسرعت إلى هذه الغرفة ، ولكني لم أجده ، ولم أجد ثيابه كذلك ، فخطر لي في الحال انه لا بد قد ارتدى ثيابه ، وانطلقت في البحث عنه حتى عثرت به في غرفة الطعام .. وكان فاقد الرشد كما تراه الآن !

وكانت الفتاة تتكلم وهي لاهثة الأنفاس ، وفي عينيها نظرة ضراعة ورجاء !

وتقـدم وود من الفراش .. فتبعه .. وراحت ترقب حركاته باهـتمام وفضول .

وأقبل تريد غولد في هذه اللحظة ، بعد ان ترك جاك بالباب في انتظار القس !

وسلط وود ضوء المصباح الكهربائي على وجه الشيخ المريض ، وفتـح إحدى عينيه بأصابعه ، والقى على حدقتها نظرة فاحصة .

ثم اقترب من المائدة ، واخرج من حقيبته (حقنة) ووضع بها سائلا من قنينة صغيرة .

وفي هـذه اللحظة اقبل جاك الخادم فوقف بالبـاب ، وهتف بصوت خافت :

- يا آنسة .. يا آنسة لقد أقبل سيدي القس .

فأجالت الفتاة الطرف حولها في يأس !

ثم قالت :

إذن فاحضر شمعة أخرى يا جاك ، أسرع توجد شمعة مضاءة في غرفـة الطعام !

ولكن القس دخل الغرفة في هذه اللحظة ، وسار إلى الفراش بخطى ثابتة دون ان يلتفت يمنة او يسرة .

وقبـــل أن يصل إلى الفراش ، رفع الطبيب رأسه وقال بصوت خافت :

– هذا امر يدعو إلى الأسف ، لقد مات الرجل .

فلم يجب القس ..

بل راح يحملق في الشيخ بحدة ، ثم رفع يده ورسم بهـا علامة الصليب على الفراش وركع على ركبتيه ، وشرع يرتل صلاة الموتى .

بينما اخذت الفتاة تجهش بالبكاء .

وحذا تريد غولد والطبيب حذو القس ! وركعا بجانب الفراش .

ومرت دقيقة او اقل في صمت محزن .

ثم فتح الباب فجأة وبعنف ورأى تريد غولد الخادم جاك واقفـاً بعتبة الباب وهو زائغ البصر مرتجف الأوصال .

فذهب اليه ليأمره بالتزام الصمت .

فتنهد الطبيب وقال :

– يا إلهي ، هذه نكبة مخيفة ، إن في غرفة الاستقبال .

فقاطعه تريد غولد قائلاً في همس :

– بماذا تهذي أيها الرجل ؟ ماذا تريد ؟

فلوح بيده وقال :

– لقد ذهبت إلى غرفة الطعام في البحث عن الشمعة كما امرتني الآنسة ، ولكن الغرفة كانت في ظلام دامس ، ولا بد ان احـــداً نقل الشمعة من موضعها .

فشرعت في البحث عنها ، ورأيت ضوءاً ينبعث من غرفــة اخرى في نهاية الرواق ، فقصدت اليها ورأيت الشمعة مضاءة وموضوعـــة على أرض الغرفة ، وبالقرب منها جثة ..

فهتف تريد غولد وهو لا يكاد يصدق اذنيه :

– جثة !.

– نعم ، وقد دنوت من الجثة لأفحصها ، فوجدتها غــارقة في بحيرة من الدماء !

ناديت الرجل ولكنه لم يتحرك ، فـــأدركت انه ميت ، ولذلك اتيت مسرعاً ، فإذا تفضل سيدي ورافقني إلى ..

وفتح الباب الذي خلفهما قبل ان يتم حاك عبارته ، وخرج منه الدكتور وود ، فسأل :

– ماذا حدث ؟

فرد تريد غولد :

– إنه يؤكد أنه رأى في غرفة الاستقبال جثة رجل ..

فحملق الطبيب في وجه صاحبه وهتف :

- ماذا تقول ؟ جثة في غرفة الاستقبال ؟

فهز تريد غولد كتفيه وقال :

- إنه يقول ذلك بلهجة التأكيد ، فهلم بنا نستطلع الخبر .

وأشار إلى الخادم بأن يتقدمهما .

ففعل ، وقصد بهما إلى غرفة الاستقبال .

وهناك أضاء الطبيب مصباحه الكهربائي ، فلفت نظره في الحال جسم ممدد على ظهره ، ويداه مبسوطتان على الأرض .

وكان تريد أول من رأى وجه صاحب الجثة ، فجمد في مكانه ونظر إلى الدكتور وود ، وهتف بصوت اجش :

- يا إلهي .. انه مستر آدمز .

الفصل التاسع

وجثا الدكتور وود بجانب الجثة ، وراح يفحصها ، ثم ما لبث ان قال :

– إنه مات ، لكن موته كان منذ ساعة او ساعتين على الأكثر .

ثم حل أزرار القميص ، الملوث بالدماء . وكشف عن صدر آدمز وهتف :

– أنظر .

وأشار إلى جرح عميق في الجانب الأيسر من الصدر واستطرد :

– إنه أصيب بطعنة .

ثم صوب ضوء المصباح الكهربائي إلى البقعة المحيطة بالجثة . ولكنه لم يعثر بالسلاح الذي ارتكبت به الجريمة .

قال :

– إنني لم أر قط جرحاً كهذا .. وأستطيع أن أؤكد انه لم ينجم عن طعنة خنجر او سكين ، لأنه مثلث الشكل .

ثم نهض واقفاً وهو يقول :

– يجدر بنا ان نترك كل شيء على حاله ، حتى يحضر رجال البوليس ، بيد ان ما يدهشني ، أكثر من أي شيء آخر ، هو : ماذا جاء بآدمز

إلى هنا ؟

فلم يجبه تريد جولد بل قال :

– إسمح لي بهذا المصباح لحظة :

وتناول المصباح وسلط ضوءه على الأرض . وأخذ يطوف بالجثة . ثم وقف فجأة وهتف بالطبيب قائلا :

– جورج . انظر . .

وأشار إلى بقعة تحت قدمي القتيل ، فأمعن الطبيب في تلك البقعة ، ورأى على الأرض وسط الدماء أثر قدم .

قال تريد جولد :

– لقد ترك القاتل الأثر الذي يرشد اليه . . هذا إذا لم يكن . .

ونظر إلى جاك . . الذي كان واقفـــا في الظلام ، يراقب كل شيء باهتمام شديد .

قال بلطف :

– دعني أرى حذاءك يا صديقي .

فأطاع الخادم .

وفحص تريد جولد حذاءه بعناية ثم قال :

– لا أرى على حذاءك أثر دماء . يجب إذن ان نتعقب أثر الأقـــدام الملوثة بالدماء .

وراح يتعقب آثار الأقدام الملوثة ، التي تركت طابعها على الأرض . فقادتـــه الآثار إلى غرفـــة الطعام ، ثم إلى نافـــذة هذه الغرفة ، وكانت النافذة مغلقة ، ولكن بدون المزلاج . . فدفعها تريد جولد بيده دفعـــة بسيطة ففتحت

وحول تريد جولد ضوء المصباح إلى النافذة ، وعثر بها على خدش حديث العهد ورأى على قاعدتها أثراً بسيطاً من آثار القدم الملوثة بالدماء .

وأطل تريد جولد من النافذة ، ورأى تحتها ممراً ضيقاً ، فسأل جاك بقوله .

-- إلى أين تؤدي هذه الطرق الضيقة ؟

- إنها يا سيدي الطريق التي جئتم منها ، وهي تصل بين واجهة القصر وباب المطبخ .

ورأى تريد جولد على الأرض آثار أقدام كثيرة فقال :

- هناك على الأقل أربعة أشخاص عدا القاتل قد مروا من هذا الطريق ، وهؤلاء الأشخاص الأربعة هم ثلاثتنا والقس، لكن لنترك فحص الأرض ومقارنة آثار الأقدام إلى الصباح ومن حسن الحظ ان الأمطار انقطعت ، فلا خوف إذن من انطماس آثار الأقدام .

فقال له الطبيب فجأة :

-- دعنا نعود الى غرفة الاستقبال فقد خطر لي خاطر

وعاد بصاحبه إلى غرفة الاستقبال والقى نظرة سريعة على الدرع والأسلحة المثبتة بالجدار ووقف أمام سيفين لهما قبضتان من النحاس وغمدان من الجلد ، وتحتهما غدارتان قديمتان .

قال تريد غولد :

- هل تبحث عن السلاح الذي ارتكبت به الجريمة ؟!

فهز الطبيب رأسه وقال :

- لا أظن ان الجريمة ارتكبت بأحد هذه الأسلحة .

والواقع . انه لم ير على الجدار ، أثر أي سلاح ، نقل من موضعه .

وقد انتبه ، تريد غولد من تأملاته ، على صوت الدكتور وود وهو يقول :

- اليس من الأفضل ، عمل شيء لإخطار البوليس بأمر هذه الجريمة ؟

كذلك يجب ان نبحث عن الأسبــاب ، التي حملت آدمز على القــدوم الى القصر .

فرد تريد غولد في هدوء :

– أظن ان في استطاعتي ذكر أسباب دخوله القصر .

ثم التفت إلى جاك وسأله :

– هل تعرف رجلا يلقب بالأعور ؟!

– نعم يا سيدي .

– هل رأيته هذا المساء ؟!

– إنه كان في المطبخ ، قبل موعد تناول العشـــاء .. ولم أره بعد ذلك .

– هل يبيت في هذا القصر ؟!

– كلا يا سيدي ! فهو يقيم في كوخه الصغير على ضفة النهر بالقرب من الطاحون .

– لكنه اعتاد القدوم إلى هذا القصر ، اليس كذلك ؟!

– إنه لا يتعــدى المطبخ ، لأنه يبتاع لنــا ما نحتاج اليه من المواد الغذائية .

فأطرق تريد غولد برأسه مفكراً .

ثم أومأ إلى الجثة وسأل :

– وكيف استطاع القتيل دخول القصر ؟!

– لا أعلم يا سيدي .

فتحول تريد غولد الى الطبيب .

ثم قال له :

– لقد نسيت بالأمس ، ان أقول لك ، ان مستر آدمز ، فاجأ في غرفته هذا الشريد الملقب بالأعــور !. ولولا انني تدخلت في الأمر .. لهشم آدمز

رأس الرجل

ووصف تريد غولد ما حدث بإيجاز ..

ثم سأل :

– هل تذكر متى رأينا آدمز لآخر مرة هذه الليلة ؟

– نعم ! إننا رأيناه ، عند حافة البحيرة ، ساعة قدوم شينر بقاربه .

– هذا صحيح ، وقد ذكر شينر انه رأى ضوءاً ينبعث من إحدى نوافذ القصر . فقلت وقتئذ ان الأعور ربما كان قد نفذ اليه .. ولا أعلم هل سمع آدمز هذه الملاحظة او لم يسمعها ! لكن من المؤكد ان حديث الصبي أثار فضوله .

فقرر التحقق بنفسه ، من صحة أقوال الصبي ، واستقل قارباً عبر به البحيرة و .

فقاطعه وود قائلا :

– لقد فهمت ما تعني ! تريد ان تقول ان القارب الذي أتى به (جاك) هو بعينه القارب الذي عبر به آدمز البحيرة !

– نعم ! وفي اعتقادي ان آدمز ! وهو صديق قديم للعائلة التي تملك هذا القصر .. وقد خطر له ان الأعور ربما احتل القصر ! ولما كان هذا الشريد مشهوراً بسوء السيرة ، فلا يبعد ان يكون آدمز قد أشفق ان يسرق هذا الشريد ما بالقصر من أثاث وأسلحة ، فأراد ان يحول بينه وبين غرضه وكانت النتيجة .

– وكانت النتيجة ان الأعور شعر به فقتله .

– هذا ما أعتقده ، وليس من الصعب ، في الوقت نفسه ، معرفة الوقت الذي وصل فيه آدمز الى هذا القصر ، ولا الوقت الذي لقي فيه مصرعه ، فنحن نعلم ان الصبي شينر ، عاد من رحلته في الساعة العاشرة .

أليس كذلك ؟

وأذكر ان عبور البحيرة ، واجتيـــاز الغابة الى القصر قد استغرقا مني ، في وضح النهار ، خمساً وثلاثين او أربعـــين دقيقه . ومن المحتمل أن يكون آدمز ، قد أسرع في طريقه . فإذا كان قد بدأ رحلته ، عقب قدوم شيفر مباشرة ، فلا بد انه وصل الى القصر حول الساعة . ولكن صبراً .

وتقدم من الجثة فجأة ، ومس ثيابها ، وفحص حـذاء القتيل .. ثم هتف :

– هل تذكر هطول الأمطار هذا المساء ؟!

فأجاب ورد :

– طبعاً ..

ثم نظر بدوره الى الجثة وقال :

– تعني انه ما دام ثوب آدمز جافاً وحذاؤه نظيفاً فلا بد ان يكون قد وصل الى القصر قبل ان يهطل المطر ؟!

– نعم .. وقد انقطع المطر ، في الساعة الحادية عشرة ، انني أذكر ذلك تماماً ، لأني نظرت وقتذاك في ساعتي ، لكن المسألة الآن هي متى بدأ هطول المطر ؟!

فأجاب الطبيب بلهجة الفوز :

– في استطاعتي أن اجيبـــك على هذا السؤال ، لقد بدأ هطول المطر ، في الوقت الذي دعاني فيه مونتجمري ، وطلب أن يعرف كم كانت الساعة ، وقد كانت الساعة وقتذاك الحادية عشرة إلا ربعاً .. ألا تذكر ذلك ؟

– أصبت . ومعنى ذلك اذن ان آدمز لا بد ان يكون قد وصل الى القصر بين الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ و .

ونظر الى ساعته ثم استطرد :

- والساعة الثانية عشرة والدقيقة ٤٥ أي اللحظة التي عثر فيها جاك على جثته في هذه الغرفة .

- أليس من الممكن معرفة الوقت الذي توفي فيه ؟

فهز وود رأسه في ارتياب وأجاب :

- ليس في الاستطاعة ذكر الوقت بالتحديد .

وتناول يد القتيل وجسها .

ثم أجاب :

- لكن من المؤكد انه أسلم الروح منذ أكثر من ساعة .

- اذن ، فلا بد ان تكون الجريمة قد ارتكبت في المدة بين الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ والساعة الحادية عشرة والدقيقة ٤٥ .

ثم تحول الى الخادم فجأة وسأله :

- متى أيقظتك الآنسة من نومك ؟

ولكن الخادم لم يستطع ذكر الوقت بالتحديد ، لأنه لم يعرف كم كانت الساعة .

هز تريد جولد كتفيه وقال :

- ليس من المهم معرفة ذلك الآن .. إنما المهم هو ماذا كان الأعور يصنع في المدة التي يظن ان الجريمة ارتكبت في خلالها ؟

فأجاب الطبيب :

- هذا من شأن رجال البوليس . ولكن هل تظن انه توجد شرطة في القرية ؟

- لا أظن ذلك ! والرأي عندي ان نستقدم القس ، ونحدثه بجلية الخبر .

وعادا الى غرفة الميت .. وفتحا بابها . فوجد القس مقبلا عليهما والفتاة

لا تزال جاثية بجانب فراش جدها

قال القس في صوت خافت بعد ان اغلق الباب وراءه :

– قد كنت أبحث عنك ، يا مستر تريـــد غولد .. انني لا أريد ، في الوقت الحاضر إزعاج الفتاة وهي في هذه الحالة من الحزن . ولكني احب ان اعرف الظروف التي .

قاطعه تريد غولد قائلا :

– ان هذا الشيخ المتوفي .. هو صاحب القصر اليس كذلك ؟

فأطرق القس برأسه وأجاب :

– نعم يا سيدي . انه هو .. انني لم أكن أعرفه حق المعرفة . لأنني عينت قساً هنا منذ ثلاثة أعوام فقط ، وهو قد رحل الى الخارج بعـــد قدومي مباشرة ! ولكني عرفته في الحال .. رغم ما طرأ على سحنته من التغيير ، انه بعينه هكتور دي سان ريمي آخر أصحاب هذا القصر .. وقدومه الى هذا البيت العتيق ليلفظ فيه نفسه الأخير لهو حلقة محزنة من سلسلة الحوادث المؤلمة التي اختتمت بها حياته .

انني لا أريد ان أتحـــدث عنه بسوء . فقد صعدت روحه الآن الى خالقها .

ثم نظر الى تريد غولد متسائلا وقال :

– لكن من هي هذه الفتاة ؟!

فأجاب تريد غولد :

– انها حفيدته يا سيدي .

فهتف القس :

– اه ! . اذن فهي ابنة شارل دي سان ريمي ، الابن الأوحد لهكتور دي سان ريمي ! . تذكرت الان .. ان شارل هذا كان قد رحل الى انجلترا لشأن من الشؤون ثم اقترن بسيدة ايرلندية . لكنه غرق مع زوجته في حادث

نعم !. نعم ! اني سمعت بهذه الحكاية في العـــام الذي اتيت فيه الى هذه المنطقة .

اذن ، فالفتاة هي حفيدته !!!

لم يطق تريد غولد صبراً اكثر من ذلك وقال للقس :

– عفواً يا سيدي ، ان كل هذا لا أهمية له في الوقت الحاضر .. انما المهم هو الحادث المخيف الذي وقع في هذا القصر !. فقد قتل رجل هنـــا هذه الليلة .

وهنا ظهرت على وجه القس علامات الانزعاج وهتف :

– رجل قتل هنا ؟!

– نعم ، رجل يدعى ادمز . كان يقيم معنا في المصيف . وهناك من الأسباب ما يحملني على اتهام ذلك الشريد الذي يحوم حول هذا القصر والذي يدعوه القوم في هذه الناحية بالأعور .

قطب القس حاجبه وقال :

– قد بدأ بقتل حارس الطاحون .. ثم ارتكب هذه الجريمة الثانية ، اذن كان روفيير على حق .. من هو الضحية ؟؟

– انه يدعى آدمز ، جريون آدمز .

فدهش القس وغمغم

- هذا مستحيل ؟!

– هل كنت تعرفه ؟!

لكن القس تغاضى عن هذا السؤال وقال :

– لكن كيف حدث هذا ؟

فهز تريد غولد كتفيه ورد .

- كل ما نعلمه عن هذا مجرد حدس وتخمين وقد عثر عليه الخادم

منذ عشر دقــائق ، مصاباً بطعنة في القلب ، وممـدداً في أرض احدى الغرف !

– وأين الجثة الان ؟!

- في غرفة الاستقبال ، ونحن لم ننقلها من موضعها !

– دعني أراها !

وما هي الا لحظة حتى كان القس واقفاً أمام الجثة ، وقد اخذ الدكتور وود يشرح له ملاحظاته عن الجرح !

ثم تحدث تريد غولد عن آثار القدم الملطخة بالدماء وعن الملابسات التي تحمله على الارتياب في الأعور !

وقد أصغى القس الى حديث الرجلين بانتباه عظيم

وقال أخيراً .

لا يوجد مركز للبوليس إلا في (ترو ابون) أي على مسافة ١٧ ميلاً من هنا . ومهما يكن من أمر فإن رجال بوليس (كويبك) هم المكلفون بمعالجة أمثال هذه الجرائم بأمر النائب العام .

وعلى ذلك ، فسـأبرق الى النائب العام ، ليرسـل من يطلع بتحقيق القضية ، وسـأمر في طريقي بالعمـدة ، وقاضي التحقيق المحلي ، فأنبئهما بالحادث .

ولا شك عندي في انهما سيأمران بالقاء القبض على الأعور ، إذا قضت الضرورة بذلك .

ولما كانت شهادتكما وأقوالكما على جانب عظيم من الأهمية ، فاني أرجوكما البقاء هنا ريثما يحضر العمدة والمحقق المحلي .

فأحنى تريد غولد رأسه باحترام وقال :

– اننا نضع أنفسنا تحت تصرف السلطات ذات الشأن .

صمت القس لحظة ثم قال :

– ولم يكن بودي قبل الآن ان أزعج الفتاة بالأسئلة ، أما الان ، بعد اكتشاف هذه الجريمة ، فإنني أرى من الضروري إخطارها لعلها تستطيع أن تميط اللثام عن الحقيقة .

فتكلم معها في الموضوع ، يا مستر ريد غولد ، وانقل بعد ذلك أقوالها الى قاضي التحقيق .

وودع القس الرجلين ثم دلف الى غرفة الفتاة ، وشيعه الخادم جاك بعد ذلك الى الباب الخارجي .

الفصل العاشر

وقفت الفتاة بباب الغرفة وقالت بصوت هادىء :

– أنبأني القس أنكما تريدان التحدث الي !

وكانت قد كفكفت دموعها وملكت نفسها .. فقدم اليها الدكتور وود صاحبه الذي سألها قائلاً :

– الست الآنسة دي سان ريمي ؟

فأومأت برأسها علامة الايجاب ..

ثم قالت :

– أرجو المعذرة لحظة .

وقصدت إلى أحد الدواليب وأخرجت منه بعض الشموع ، ودفعتها الى جاك .

ثم قالت له

– أضيء هذه الشموع حول فراش جدي .. ومتى بزغ الفجر انطلقنا إلى البرية لجمع بعض الزهور .

وانصرف الخادم .

وعادت إلى حيث كان بريد غولد والطبيب في انتظارها .

قال الأول :

- نحن نرجوك يا آنسة أن تتقبلي خالص عزائنـــا لك فيما أصابك . وأنــه يعز علينا أن نزعجك في أساك وحزنك ولكن ظروفاً لم تكن في الحسبان !

فقاطعته قائلة :

- الا تتفضل وصاحبك بالجلوس ؟

وقدم اليها الطبيب كرسياً .

ولكنها هزت رأسها وقالت :

- كلا ، شكراً لك .. إنني أفضل الوقوف

فجلس تريد غولد قائلاً :

- هناك بعض أسئلة .

فقاطعته الفتاة مرة أخرى بأن قالت بلطف :

- إني على استعداد لإجابتك إلى كل ما تطلب معرفته .

- هل تعرفين يا آنسة شخصاً يدعى آدمز .. جوين آدمز وهو محـام من (تورنتو) ؟

فأحنت رأسها قائلة·

- نعم ..

- ماذا أتى به إلى القصر هذه الليلة !

فلم تجب على الفور !

وشعر تريد غولد بأنها صمتت أطول مما يجب فرفع رأسه وسألهـا في لطف :

- ألم تعلمي أنه اقبل إلى القصر ؟

فهزت رأسها سلباً ..

- هل كنت تعلمين انه يقيم في المصيف ؟

فهزت رأسها مرة أخرى ، ونظرت اليه في فضول .

وقال تريد غولد وهو ينظر اليها باشفاق .

– إذن يجب ان تعدي نفسك لمفاجأة سيئة يا آنسة ، إن مستر آدمز وجد قتيلاً ..

فقطبت الفتاة حاجبيها وهتفت بصوت أجش :

– وجد قتيلاً ؟

– إن النبأ لا يسر ، ولكن يجب ان تعلمي الحقيقة .. فمستر آدمز وجد مطعوناً في قلبه .

وهنا راعه الانتقال الفجائي الذي طرأ على سحنة الفتاة .

بيد أنها لم تتراجع ..

ولم يبدُ عليها شيء من دلائل الفزع

واستطرد تريد :

– لقد وجده خادمك مقتولاً في غرفة الاستقبال ، بعد وصول الكاهن ببضع دقائق .

فرفعت الفتاة منديلها إلى فمها .

وسألت :

– ولكن من .. من الذي قتله ؟

– هذا ما نحاول معرفته ، بيد اننا الآن امام نقطتين نرجو بمساعدتك ان نستوثق منهما . فأولاً ، كم كانت الساعة عندما قصدت إلى غرفة جدك ؟!

فنظرت اليه نظرة جوفاء ، أدرك منها انها لم تفهم سؤاله فأعاده على سمعها ..

فأجابت :

– إنني نظرت إلى ساعتي فألفيت الوقت قد جاوز الحادية عشرة .

فظهرت على وجه تريد جولد علامات الارتياح .

وقال الطبيب :

– اذكر ان الآنسة قالت لي انها خيل اليها عندما استيقظت من نومها انها سمعت صرخة مرتفعة .

وتحول إلى الفتاة وسألها

– اتظنين ان هذه الصرخة بدرت من جدك ؟

لا استطيع ان اجيبك على وجه التحقيق .. فأنت تعلم كيف يكون شعور الانسان حين يستيقظ على صوت فجائي ، لقد خيل الي ان صدى صرخة يتردد في اذني ، وليس في مقدوري ان احلل هذا الصدى تحليلاً صحيحاً .

فأشار تريد غولد إلى نافذة الغرفة وسأل :

– هل كانت هذه النافذة مفتوحة عندما دخلت الغرفة ؟

فاطرقت برأسها وقالت :

– نعم ..

– وهل كانت الغرفة في ظلام دامس ؟

– نعم ، وقد جئت معي بشمعة ، وأذكر اني سألت جاك بعد ذلك عما صنع بالمصباح ، فأجابني بأنه تركه مضاء عندما قصد إلى فراشه .

– والمصباح مصنوع من النحاس الأصفر ، وعليه مظلة من الزجاج الأبيض أليس كذلك ؟

– نعم .

– توجد غرفة استقبال كبرى في الجانب الآخر من البهو ، فهل كنتم تستخدمونها ؟

– كلا ، كل ما هناك انني تفقدت غرف القصر يوم مجيئنا ، فلم ندخل الغرفة التي تتحدث عنها إلا مرة واحدة .

– ومتى وصلتم إلى هذا القصر ؟

– منذ اربع ليال .

فلريث تريد غولد لحظة ثم قال :

– انني لا اريد ان اقول شيئاً يؤلمك ، ولكن هل لدى جدك من الأسباب ما يحمله على كتمان نبأ اقامته في هذا القصر ؟

فاحمر وجهها ولكنها قالت :

– نعم ، كانت لديه بعض الأسباب .

ثم استطردت في كبرياء :

– ولكنها أسباب لا تدعو إلى الخجل ..

– انا لا أعني ذلك يا آنسة ، كل ما هناك انني أسائل نفسي عن الأسباب التي حملته على العودة إلى القصر .

فأجابت وشفتاها ترتجفان :

– انه كان مريضاً ، ولا بد انه شعر بدنو اجله . فرغب في رؤية القصر لآخر مرة .

فنظر اليها تريد نظرة عطف وإشفاق وقال :

– فهمت ، ولكن كيف استطعتم الوصول إلى هنا دون ان يشعر بذلك أحد ؟

فترددت الفتاة لحظة ..

ثم قالت :

– إننا استقلنا الزورق البخاري من (كوبيك) إلى (تروابون) ، وكان جاك قد سبقنا فانتظرنا مع ماتياس بالقارب الذي اتى بنا إلى هنا عن طريق النهر ..

– ماتياس ؟ هل هذا هو اسم الشخص الملقب بالأعور ؟ متى رأيت هذا الشخص لآخر مرة ؟

– رأيته لآخر مرة بعد ظهر أمس ، وقد انبأني جاك انه جاء الليلة قبيل

موعد العشاء ، لكني لم أره !

- هل كان بين الأعور وآدمز شيء من النفور ؟؟

- لا أعلم !

ولكنها سرعـان ما أدركت الغرض ، الذي يرمي اليه تريد جولد ، فهتفت :

- لا شك انك لا ترمي الى اتهام هذا الشخص التعس ، لا لشيء إلا لأن قساة القلوب يزعمون انه هو الذي قتل حارس الطاحونة . .

كلا !. كلا !. لا تصدق أقوال الناس ، إنهم يكذبون ! إن ماتياس غريب الأطوار حقاً .. لكنه لا يؤذي ذبابة .

- إذن يجب ان تعلمي انـــه تسلل أمس الى (كابينة) مستر آدمز في المصيف ، ففاجأه آدمز والقى القبض عليه ، وعامـله معاملة خشنة ، قاسية . .

وقد قال لي آدمز ان الأعور كان يبحث في الكابينة عن شيء ولكنه لم يذكر لي ماهية هذا الشيء

إن ماتياس لم يقتل هذا الرجل ، أنا واثقة من ذلك .

فهز تريد جولد كتفيه وقال :

- لنترك هذا الموضوع الان . قلت انك لم تعلمي بوجود ادمز في المصيف، لكن هل كان جدك يعلم بوجوده ؟

فهزت رأسها بسرعة وأجابت :

- لو أنه علم لما تردد في ان يقول لي ذلك

- أظن ان ادمز كان صديقاً قديماً لأسرتكم .

- الواقع انه يمت الينا بصلة نسب . فإنه ابن زوج عمتي (أنيتا) ، وعمتي (أنيتا) هي في الواقع صغرى شقيقات جدي ، وقد تزوجت برجل أرمل يدعى ادمز وكان لهذا الأرمل ابن من زوجته الأولى هو مستر جريون ادمز الذي

تقول انه قتل .

وهنا قال الطبيب .

ـ ان هذا الايضاح يفسر لنا أشياء كثيرة .. لقد حذرت الانسة ليلة أمس وقلت لها ان أي انفعال قد يدني أجل جدها ، فمن المؤكد اذن ان الشيخ شهد ارتكاب الجريمة او أنه عثر بجثة القتيل فجأة . فكانت الصدمة شديدة وترتب عليها ان أصابته تلك النوبة القلبية التي قضت على حياته . ولما كان القتيل هو ..

لكن تريد جولد لم يكن يصغي اليه ، بل كان منصرفاً الى تأملاته . فما لبث ان قاطع الطبيب بأن هتف :

ـ صبراً لحظة .

وخرج مسرعاً فشيعته الفتاة ببصرها حتى توارى . ثم سألت الطبيب بقولها :

ـ لماذا يتدخل هذا الشخص فيما ليس من شأنه !؟

ـ الواقع ان القس هو الذي طلب اليه مباشرة هذا التحقيق ، بيد أن قاضي التحقيق سيحضر في التو واللحظة .

وفي هذه اللحظة عاد تريد جولد فانتحى بالطبيب ناحية ، وقال له بصوت خافت :

ـ لقد فحصت هذا الشيخ المتوفي ظناً مني بأن ذلك الأثر هو أثر قدمه ولكني الفيت حذاءه نظيفاً

وما أتم تريد جولد كلامه حتى سمع الجميع وقع أقدام تقترب ثم فتح الباب ودخل ثلاثة رجال ، ما كاد تريد جولد يرى أولهم . حتى ظهرت على محياه علامات الدهشة

ذلك انه عرف في أول القادمين التاجر جوزيف روفيير .

تقدم روفيير في نشاط ، ورفع قبعته للفتاة محيياً ، وكان مظهره يدل على

انه ارتدى ثيابه على عجل ، فقد ظهرت ثيابه منتظمة تحت معطف من الجلد ، وكان ينتعل في قدميه نعلاً (شيشباً) ..

وتبعه الى الداخل رجل ضئيل الجسم ،عرف فيه مستر تريد جولد الاستاذ بوشيرون مسجل العقود الذي قابله في منزل القس .

قال روفيير في رزانة :

– لقد أخبرني القس بازين اننا سنجدك هنا ، يا مستر تريد جولد ..

وتفرس في وود برهة ثم استطرد قائلاً :

– وأظن ان هذا السيد هو الدكتور وود .

ثم قال وهو يشير الى رفيقيه :

– إسمحوا لي أن أقدم اليكم أيها السادة ، الدكتور كوتبيه قاضي التحقيق ، والاستاذ بوشيرون محامي عائلة سان ريمي ، ومسجل عقودها .

فقال المحامي يخاطب الفتاة :

– أرجو ان تسمحي يا انسة لشخص شرفه جدك المرحوم وجعله موضع ثقته بأن يقدم اليك أصدق تعازيه ..

وخيل الى تريد جولد ان الفتاة لم تتقبل هذه المجاملة كما ينبغي ، بينما استطرد بوشيرون يقول :

– ان العمدة قد اتخذ على الفور كافة الاجراءات للاقتصاص لهذه الجريمة المروعة التي أودت بحياة السيد ، فإنه ما كاد يتلقى إشارة القس بازين في هذا الصدد ، حتى طلب إلي ان اذهب مع الخباز نارسيس لافواميواز للبحث عن ذلك الشرير الذي أفلت حتى الان من طائلة القانون ، فوجدناه وقبضنا عليه .

وهنا فقط أدرك تريد جولد على الفور ان جوزيف روفيير هو العمدة ، ورأى انه يقرر التهمة كأنها أمر واقع مفروغ منه .

فقال في شيء من القلق .

– أرجو ألا يفوتك ان الدليل على جرم ذلك الشخص هو حتى هذه اللحظة مجرد استنتاج .

فقال العمدة :

– هل حدثت الفتاة ، بشأن هذه الجريمة ، كما اقترح القس ذلك ؟ .

فقرر تريد جولد ان الانسة دي سان ريمي لم تستطع أن تلقي شيئاً من الضوء على وجود ادمز في القصر . وانه يلوح انها لم تره او تشعر به حينما اتى الى القصر وكذلك الحال مع الخادم .

ثم استطرد متابعاً :

– وهي صريحة في كلامها انها لم تكن تعلم هي او جدها ، بوجود ادمز في المصيف .

– ومتى وصل الى هذا المصيف ؟

– لقد أخبرني انه وصل يوم الأحد .

– لم يسمع أحد منا في القرية بوجوده هنا .. ثم ان انج ترمبلاي لم يكن يعرفه . ومما لا ريب فيه ان مستر ادمز لم يكن يعلم قط ان صاحب القصر قد عاد اليه ، وإلا لحضر الى هنا قبل هذه الليلة .

– لقد أفادت الفتاة انه يمت بصلة النسب الى العائلة .

– هو ما تقوله . لكن العلاقة ، بينه وبين صاحب القصر ، كانت سيئة !

وخفض صوته واستطرد يقول :

– ان الشائع على كل لسان هو انه لو لم يفر مسيو دي سان ريمي الى فرنسا منذ ثلاث سنوات ، لكان مستر ادمز قاده الى السجن !

فأومأ تريد جولد برأسه وقال

– لقـد ألمح لي ادمز بشيء كهذا .. ولكن مـا سر هذا العداء الذي كان بينهما ؟

– انني لم أقف على كافة التفاصيل التي تتعلق بهذه المسألة ، كما ان الاستاذ بوشيرون من الأشخـاص الذين لا يتفوهـون بكلمة عن موكليهم ، ولكني مع ذلك قد فهمت ان مسيو دي سان ريمي ، عهد اليه في الاشراف على استغلال أموال خاصة بشقيقته انيتـــا ، على ان يؤدي اليها ما في ذمته عند زواجها .

ولا تنس ان الانسة انيتا ، قد تزوجت فيما بعد ، والد مســتر ادمز !.

ولما توفي مسيو بيير والد أنيتـــا وأخيها مسيو دي سان ريمي ، اتفقت الاراء على وجوب إبقاء التركة يديرها الأخ كما كان يفعل من قبل ، على أن تتناول اخته الريع فقط كالمتبع .

وحدث بعد ذلك ان توفي زوج الأخت الذي هو والد مستر ادمز ، وأراد هذا أن يصفي تركة والده ، فذهب الى مسيو دي سان ريمي مطالباً بالأموال التي اؤتمن عليها .

ولشد ما كان خوفه حينما رأى انه قد بددها ، وان ما بقي من التركةأصبح مثقلا بالديون

وبيعت الأملاك المحيطة بالقصر ، بعد ذلك ، وفر السيد الى فرنسا !.

وأشيع على الأثر ان ادمز أقسم ان يزج به في السجن اذا وطئت قدماه أرض كندا .

وهنا قال تريد جولد :

– اذن هذا هو السر في انهما كتما أمر وجودهما هنا .

وقال القاضي اخيراً وكان واقفاً بجانب وود :

– ماذا نفعل الان يا جوزيف ؟ هل نذهب لمعاينة الجثة ؟

وانتقل الجميع الى غرفة الاستقبال حيث كانت الجثة .

ولقد لاحظ تريد جولد ان القاضي وإن كان يباشر التحقيق كما يملي عليه منصبه ، إلا ان العمدة هو الذي كان يوجهه ..

وانحنى روفيير فوق الجثة ، وما لبث ان أشار الى وود ان يقترب منه ، وراح يلقي عليه سيلا من الأسئلة عن سبب الوفاة وموعدها بالتقريب ، وعن طبيعة السلاح الذي ارتكبت به الجريمة، وأين كان القتيل واقفاً حينما أصابته طعنة القاتل !

وقال الطبيب حين نقل اليه تريد جولد مؤدى هذه الأسئلة بالانجليزية . انه يعتقد ان ادمز قد شاهد من الخارج ضوءاً ينبعث من نافذة غرفة الطعام . فدخل للغرفة ، ولما لم يجد بها أحداً ، حمل المصباح وشرع يتفقد جوانب القصر

ولما وصل الى غرفة الاستقبال سمع صوتاً مريبـــاً في غرفة الطعام ، فأراد ان يتخلص من المصباح فوضعه على الأرض ، وهم بأن يحوّل وجهه الى الباب .

وفي هذه اللحظة وثب عليه القاتل الذي كان قد تبعه من غرفة الطعام ، وطعنه الطعنة التي قضت عليه .

وقد اقتنع روفيير بهذا التعليل والاستدلال . فغمغم قائلا :

- لا بد ان هذا ما حصل بالضبط ، ولكن ألم تجد السكين او الخنجر الذي ارتكبت به الجريمة ؟!

فرد تريد جولد انه لم يعثر بالسلاح الذي ارتكبت به الجريمة وان الدكتور وود يعتقد ان هذا السلاح ليس سكيناً أ. ولكنه مثقـــاب ، أو أداة من هذا النوع !

فأطرق برأسه موافقاً !. وكان من رأيه ان المثقب ليس أداة يتعذر على الأعور الحصول عليها .

وقد كان العمدة أول من لفت نظر قاضي التحقيق الى ضرورة الاحتفاظ بالمصباح وصيانته ليتمكن رجال البوليس من نقل بصمات الأصابع التي عليه ، وكان هو الذي فتش جيوب القتيل ، ولكنه لم يجد بها شيئاً يستحق الذكر .

كان كل ما عثر به مع القتيل هو علبة تبغ وطائفة من المفاتيح ، وحافظة أوراق ، ورخصة قيادة سيارة وبعض بطاقات زيارة ، وطائفة من الأوراق المالية أحصاها فجمعت ٢٥٠ دولاراً .

فقال :

– هذا يدل على ان السرقة لم تكن الدافع الى الجريمة .

وقد عثر في صدرية القتيل على رسالة من مكتب مسيو فورجيرون صاحب المصيف ينبئه فيها بأنه احتجز له كابينة على شاطىء البحيرة وعثر مع هذه الرسالة على قائمة حساب من أحد الفنادق .

* * *

ولما فرغ قاضي التحقيق من تكوين رأيه ، ابتعد بالعمدة قليلا وراح يتكلم معه في همس .

ومن ثم أرشده تريد جولد الى أثر القدم الملوث بالدماء ، فاهتم الدكتور كوتيبه بهذا الأثر اهتماماً عظيماً ، وأخرج من جيبه مقياساً خاصاً ، سجل به قياس القدم .

وفي هذه الأثناء كان روفيير يتعقب اثار القــدم الملوث بارشاد تريد جولد . بينما كانت الانسة تستقبل راهبتين بعث بهما النس للسهر عـلى جثمان الجد .

وانتهز روفيير هذه الفرصة ، وعاد أدراجه الى قاضي التحقيق ، وقال له :

– لننتهز فرصة غياب الفتاة وننقل الجثة من هنا !

– حسناً !

– نستطيع حملها الى مخزن الحنطة في منزلك . كما فعلنا بجثة حارس الطاحون !

وحدث عند رفع الجثة من مكانها ان عثر روفيير تحتها على قلم مذهب فدفع به الى قاضي التحقيق .

ثم رافق الجثة حتى وضعت في سيارته

الفصل الحادي عشر

أدخل (الأعور) المتهم بقتل مستر آدمز إلى الغرفة التي ارتكبت فيها الجريمة . وكان الرجل رث الثياب وفي حالة يرثى لها ، فتأمله تريد غولد عن كثب . وشعر في الحال انـه أمام مخلوق ضعيف الادراك ، ولكنـه ليس مجنوناً .

وحضر القوم طاولة وقتية من بعض ألواح الخشب بسطت فوق برميلين كبيرين ، وجلس قاضي التحقيق فوق مقعد أتي بـــه من القصر ، وظل الباقون وقوفاً .

وافتتح مسجل العقـود إجراءات التحقيق ؛ فوجه كلامه إلى القاضي قائلاً :

ــ لقد قصدت بصحبة الأخ لافوامبواز إلى كوخ هذا المتهم ، طبقاً لأمر العمدة ، فألفيناه نائماً . . وعانينا كثيراً في إيقاظه ، لفرط ما شرب أمس . . فلما أفاق أخبرناه ان أحد المصطافين قد قتل داخل القصر وإن الشبهة تحوم حوله ، ولكنه لم يجب . .

ووضع مسجل العقود مدية للصيد في غمدها فوق الطاولة ، ثم استطرد قائلاً :

ــ ولقد عثرنا بهذه المدية معلقة في وسطه . . ولكنها نظيفة ، ولم نشاهد

آثار دماء على ثيابه .

فتناول الدكتور كوتييه المدية وأخرجها من غمدها وأخذ يفحصها ، ثم ناولها إلى الدكتور وود ، وقال وهو ينظر الى المتهم من فوق نظارته :

ـ ماتياس . ان شخصـــاً من نزلاء المصيف يدعى ادمز قد قتل في القصر هذه الليلة .. هل تفهم ما أقول ؟. لقد قتل بطعنة خنجر ، فما قولك في ذلك ؟

فجعل الأعور يحدق في القاضي دون ان ينبس بكلمة واحدة ، فاستطرد هذا قائلاً :

ـ هيا ! تكلم !. لقد علمنا انه اعتدى عليك أمس . فهل قتلته انتقاماً لما أصابك منه ؟

لكن المتهم أصر على صمته .

فقال الدكتور كوتييه :

ـ ما السبب في دخولك سراً إلى (كابينة) القتيل ؟ هل كنت تنوي سرقته ؟.

فهز المتهم رأسه ، ثم أشار باصبعه إلى ناحية تريد غولد وتمتم قائلاً :

ـ لقد رأيته فأردت ان أعرف ماذا يريد ..

فقال روفيير يفسر قوله :

ـ هذا صحيح ، فإن مستر تريد غولد أخبرني انه مر بقربة من القصر بعد ظهر أمس ، وان الأعور قد رآه .. لكن هذا لا يفسر لنا لماذا انسل إلى داخل كابينة القتيل ؟

فقال الأعور في صوت أجش :

ـ لقد أردت ان أرى ..

وكف عن إتمام عبارته ، فقال القاضي :

ـ هل تريد أن تقول انك رأيت شخصاً حسبته مستر آدمز ؟

فأومأ الأعور برأسه مجيباً ، وتابع القاضي قائلا :

– وانك أتيت الى الكابينة لتتأكد من انه هو ؟. حسناً ! إذن كنت تعرفه من قبل ؟.

– نعم كنت أعرفه من زمن طويل .. حينما تزوجت الآنسة أنيتا .. فإنها وزوجها كانا يدعوانه إلى القصر .

فسأل القاضي :

– ولكن ما علاقتك أنت بآدمز ؟

– كان عدواً لمسيو هكتور دي سان ريمي .

وهنا تدخل الاستاذ بوشيرون مسجل العقود قائلا :

– كان المعروف في الأعوام الأخيرة ان العلاقات بين مسيو هكتور ومستر آدمز ليست على ما يرام

ثم هز كتفيه واستطرد قائلا :

– لكن هل يعرف سيدي القاضي تلك الفكرة التي تسيطر على هذا المخبول!. إنه يظن ان كل غريب يأتي الى هنا إنما يريد ان ينتزع القصر من صاحبه ..

وفي هذه اللحظة فتح الباب وأقبلت الفتاة . لكنها لم تعبأ بنظراتهم وتقدمت حتى وقفت بجوار المتهم

وقال روفيير يسأله :

– هل أخبرت مسيو هكتور ان مستر آدمز يقيم بالمصيف ؟

فأطرق الأعور برأسه علامة الايجاب ، وأخذ يخالس الفتاة النظر ، فخيل الى تريد غولد انها فوجئت بهذا الجواب الصامت .

قال العمدة :

– متى كان ذلك ؟

فقال الأعور وقد لاحظ تريد غولد انه ينظر الى الفتاة خلسة وفي شيء

من القلق :

– في هذه الليلة .

فرد القاضي والعمدة في وقت واحد :

– هذه الليلة ؟.

فرد المتهم :

– كان مسيو هكتور مريضاً طول النهار ، فلم استطع أن أخبره قبل ذلك.

فسأل روفيير :

– ولماذا لم تخبر الآنسة ؟

– لأني لم أرها كذلك .. وأخبرني جاك إنها مع الجد ولا يجب إزعاجها .. أما في هذه الليلة فأحضرت معي خبزاً وبيضاً وأردت ان أوصل الطعام لجاك، فرأيت مسيو هكتور بباب المطبخ ، وأخبرته .

وهنا قالت الفتاة في رزانة :

– متى حصل ذلك يا ماتياس ؟

فأطرق الأعور برأسه ولم يستطع ان يعين الوقت ، على انه لم يلبث ان قرر انه سمع ساعة الكنيسة تدق العاشرة حينما كان يقصد الى القرية .

فسأل القاضي في صوت حاد :

– أتعني انك تركت مسيو هكتور بعد تلك المقابلة وذهبت الى القرية ؟

– نعم وذلك بناء على أمره .

– ولماذا ؟

– لاستدعاء الاستاذ بوشيرون .

فصاح مسجل العقود قائلا :

– لاستدعائي أنا ؟

والتفت الى القاضي قائلا :

– هذه اول مرة أعلم ذلك . ولكني على كل حال كنت غائباً عن المنزل

طول النهار في ناحية (تروابون) ولم أعد إلا في ساعة متأخرة ..

ثم انثنى الى المتهم قائلا :

– هل أتيت الى منزلي ؟. إن غرضي من هذا السؤال يا سيدي القاضي ، هو ان أقرر ان خادمي لا يبيت في المنزل . وإذا كان هذا الشخص قد أتى في الساعة الحادية عشرة ، فلم يكن أحد بالمنزل لمقابلته .

قال القاضي :

– مهلا يا أستاذ بوشيرون ، فإنك تكاد تربكني بأقوالك المتتابعة .

ثم تحول الى المتهم قائلا :

– قلت ان سيدك أرسلك لاستدعاء الاستاذ بوشيرون ؟

فقرر الأعور ان مسيو هكتور أمره ان يخبر الأستاذ بوشيرون بأنه يريده في مسألة مستعجلة ، وانه يود ان يراه في نفس الليلة . لكنه حينما اتجه الى منزل مسجل العقود وطرق الباب لم يجبه أحد ، لذلك عاد خائباً .

– وكم كانت الساعة حينما ذهبت الى مسكنك ؟

وهنا ظهرت على محياه دلائل القلق ، ولم يلبث أن قال في حذر :

– لا أدري .

فسأل العمدة :

– هل أسرفت في الشراب الليلة ؟

– لقد كان المطر يهطل ، ولا بد من شيء يدفع البرد .

فقال القاضي يكلم العمدة :

– ألم أقل لك من قبل يا جوزيف ان الخمور لا تزال تباع في القرية ؟.

ثم نظر الى المتهم في صرامة وقال :

– من اين ابتعت الخمر ؟

فلزم ماتياس الصمت ، اما روفيير فانه قال :

– وماذا يهم معرفة المصدر الذي ابتاعها منه ؟ إن ما حصل بعد ذلك

واضح كل الوضوح ، إنه يكذب حين يزعم انه قصد الى مسكنه ، والواقع انه ذهب الى القصر كي يخبر مسيو هكتور بأنه لم يجد الاستاذ بوشيرون .. ولا شك انه صادف آدمز في القصر ، فقتله وهو تحت تأثير الشراب .

ونظر روفيير الى المتهم وتابع :

– اليس هذا ما حصل ؟ هيا ايها الأعور . إن الانكار لن يجديك شيئاً لقد قتلت آدمز اليس كذلك ؟

وأمسك روفيير بخناق المتهم وأخذ يهزه بعنف قائلا :

– أجب ايها اللعين !. أجب !.

فوثبت الفتاة الى الأمام وصاحت قائلة :

– دعه وشأنه ! ألا ترى انك تدخل الفزع على نفسه ؟ انك تعلم انه مصاب بضعف في قواه العقلية !. فمن النذالة والخسة ان تعامله على هذا النحو !.

إنني أؤكد ان هذا الرجل المسالم لا يمكن ان يقدم على ارتكاب جريمة كهذه !. لقد استولى عليه الآن الاضطراب والفزع !. وهو لا يدرك ما يقول ! دعني أخاطبه على انفراد .. وسوف أجعله يجيبكم الى كلما تريدون الوقوف عليه .

فرفع روفيير رأسه فجأة .. وسمع في هذه اللحظة صوت عجلات في الخارج . وما هي إلا هنيهة حتى فتح الباب ، ودخل منه رجل يحمل في يده حذاء .

وتقدم الرجل الى الطاولة ، ووضع الحذاء أمام القاضي ، وقال في إيجاز :

– إننا وجدنا هذا مخبوءاً في سقف كوخ الاعور !

فتناول القاضي الحذاء وجعل يقلبه بين يديه ، فإذا هو رث بال ، ملطخ بالوحل ، تعلوه لطخ حمراء اللون

ورفع الحذاء الى أعلى وسأل :

- هل هذا حذاؤك يا ماقياس ؟

فشخص الجميع بأبصارهم إلى المتهم فرأوه يطرق برأسه ، وقد أخذت عينه الوحيدة تختلج ذات اليمين وذات الشمال في يأس واستسلام ..

وتناول القاضي من جيبه دفتراً و (مقياساً) وشرع يقيس الحذاء ويضاهي النتائج بما هو مسطور لديه في الدفتر عن حجم آثار الأقدام التي عثر بها قرب جثة القتيل ، وما لبث ان رفع رأسه ونظر إلى العمدة قائلاً :

– إن النتائج متطابقة ..

قال روفيير :

– أرى ان تأمر بحبسه . فإن القانون يخولك هذا الحق ..

وانحنى فوق القاضي وأخذا يتهامسان فيما بينهما ..

أما الفتاة فلم تبرح مكانها .. وإنما راحت تحدق في فزع واضطراب الى محيا ذلك المخبول الذي طاش رأسه خوفاً ..

وأدار وود الطرف حوله فوجد ان تريد قد اختفى ، فلمس ذراع الفتاة وقال لها :

- يحسن بك الآن ان تغادري هذا المكان ..

ورأى وود في البهو راهبة تصلي ، فأفهمها في فرنسية متعثرة ، إن الفتاة بحاجة إلى الراحة . وأجابته الراهبة انه لا بأس من بقاء الآنسة (أدريين) مؤقتاً في القصر تحت رعايتها وزميلة لها ..

إذن فالفتاة تدعى (أدريين) !.

إستعذب وود هذا الاسم وراح يذكره في سره .. لكن الفتاة لم تنبس ببنت شفة ولم ترسل اليه نظرة واحدة .. وإنما كان يلوح عليها اضطراب شديد حتى لتكاد تهوي إعياء ..

وطلب وود الى الراهبة ان ترافق الفتاة إلى غرفتها وقال لها :

ـ سأترك لك دواءاً يهدىء أعصابها ويجلب لها النوم .

ولما خرجنا تذكر انه ترك حقيبته الصغيرة في غرفة الميت، فذهب للبحث عن الخادم ليأتيه بها .

والفى وود المطبخ خالياً ، ففتح الباب الخارجي ، ورأى تريد واقفاً في ممشى الحديقة ، وعاقداً يديه خلف ظهره ، واستغرق في تفكير عميق .. فسأل الطبيب :

ـ ماذا بك يا صاحبي ؟

فانتفض تريد غولد وهتف قائلاً :

ـ آه !. هذا أنت يا جورج !

ـ أراك تبحث هنا ، فهل عثرت على آثار جديدة ؟

فهز تريد غولد رأسه سلباً .

ثم سأل وود فجأة :

ـ هل حضر القس في سيارة ؟

ـ أظن ذلك . او على الأقـــل ، سمعت صوت محرك سيارة ، حينما انصرف .

ـ ألم تلاحظ انه كان ينتعل في قدميه حذاء من المطاط فوق حذائه العادي إتقاء المطر ؟

ـ كلا !. ولم هذا السؤال ؟.

ـ لا شيء !. إنها فكرة عارضة !

ـ حسناً ! رأيت انهم يتهمون الأعور

ـ هذا ما يلوح لي .

ورأى الطبيب جاك في المطبخ ، فكلفه باستحضار حقيبته وقال مخاطباً تريد غولد :

ـ يجب أن نتأكد قبل الانصراف من انهم لا يحتاجون الينا .

وفيما كانا يسيران في الطريق إلى حجرة الاستقبال هتف وود فجأة وهو يشب نحو الباب المؤدي إلى البهو :

– هذا غريب !.

فسأل تريد غولد وهو يلحق به :

– ماذا حصل ؟

فأشار الطبيب إلى الأسلحة المعلقة بالجدار وقال :

– أنظر إلى هذه (الحربة) المثبتة بطرف البندقية . اني لا أذكر اني رأيتها هنا من قبل .

فبدرت من تريد غولد صيحة مختنقة !. وراح يحملق نحو البندقية !. وما لبث ان هتف قائلاً :

– يا إلهي !. لا شك اني كنت أعمى

فنظر وود إلى تريد غولد متحيراً ، ثم انحنى إلى الأمـــام وأخذ يفحص (الحربة) .. فإذا طولها لا يتجاوز قدماً واحداً ، وفي قبضتها حلقة صغيرة ثبتت بواسطتها في فوهة البندقية .

همس وود قائلاً :

– أنظر !. إن النصل مثلث الشكل !.

الفصل الثاني عشر

قال تريد جولد في صوت اجوف :

- لقد اخبرني الدكتور كونيه منذ ساعة فقط ، حينما وقفت معه في الحجرة ننتظر وصول الأعور ، انه كان فيما مضى كثير التردد على هذا القصر وانه كان يعلم بوجود (حربة) مثبتة بهذه البندقية .. وذلك لأن (الحربة) لم تكن موجودة حينما قال لي ذلك . إنني لا أكاد أملك صوابي كلما فكرت في أنه قد لفت نظري إلى ضياع (الحربة) ، وانني لم أعر هذه النقطة عناية كافية ..

وأخرج من جيبه منديلا ولفه حول أصابعه ثم راح ينتزع (الحربة) من موضعها برفق وقال :

- إن من أعاد (الحربة) قد بذل جهده حتى لا يترك أثراً فوقها ولكن لا يبعد أن يكون قد ترك أثراً ما عن غير وعي .

- اصغ إلي يا صاحبي .. إن هذا الاكتشاف الجديد يضاعف غموض القضية .. فإن الأعور لا يمكن أن يكون هو الذي وضع هذه (الحربة) مكانها ذلك لأنه لم يأت إلى هنا إلا بعد أن رأيت أنت والقاضي ان (الحربة) غير مثبتة في البندقية .

- هو ما تقول ..

وفي هذه اللحظة فصل تريد (الحربة) من البندقية وراح يفحصها بعناية وهو ممسك بها بواسطة المنديل ..

وما لبث أن قال :

— هل أنت موقن من ان آدمز قد قتل بهذه الأداة ؟

— كل اليقين ..

وتناول وود (الحربة) بالمنديل واستطرد قائلا :

— انظر إلى النصل كيف يتدرج حتى يصبح مدبباً عند نهايته . على انه لا يمكن الجزم نهائياً بأن هذا السلاح هو الذي ارتكبت به الجريمة إلى أن يفحص بواسطة المجهر .. واني أراهنك أنهم سيهتدون إذ ذاك إلى آثار دماء بشرية تتخلل جزئيات الصدأ الذي يعلو النصل ، كما يحتمل كذلك بفحص الجرح أن يعثر به على ذرات من الصدأ ..

ولما رأى وود أن صاحبه قد أخلد إلى الصمت ، نظر اليه مستفسراً وقال يسائله :

— فيم تفكر ؟

فهز تريد كتفيه وقال :

- إن جاك هو الذي عثر بالجثة .

وفي هذه اللحظة ارتفعت أصوات صادرة من الممر ، فقال :

— يجب أن نعيد (الحربة) إلى مكانها .

وتناول تريد السلاح من يد الطبيب ، وتقدم من الباب وأطل برأسه فشاهد القوم يقودون الأعور في البهو وهو بينهم حافي القدمين .. بينما وقف روفيير والقاضي يرقبان هذا المشهد عن كثب .

ولما أبصر القاضي بتريد واقفاً و (الحربة) في يده أدرك الموقف في طرفة عين .

وقال تريد

– إن هذه الحربة ..

فقاطعه روفيير :

– هل هي أداة الجريمة ؟ تعال يا سيدي القاضي ..

وقال الدكتور كوتيه :

– لقد أخبرت هذا الصديق من وقت وجيز ، إنني كنت أظن ان هـذه (الحربة) قد ضاعت ..

فقاطعه روفيير قائلا :

– إن مستر تريد جولد يرى ان هـذا السلاح هو الذي استخـدمه الأعور ..

فقال القاضي :

– نعم .. مما لا ريب فيه ان الجريمة قد ارتكبت بسلاح مثل هذا ! ولكن كيف أعيدت هذه الحربة إلى مكانها يا جوزيف ؟ كيف تعلل هذه الظاهرة ؟

وفي هذه اللحظة تقدم جاك حاملا حقيبة الدكتور وود .

فهرع اليه روفيير وسأله :

– هل أنت الذي عثرت بجثة مستر آدمز ؟

فقال الخادم

– نعم !

– ألم تبصر سلاحا بجانبها ؟

– كلا !

فرفع الوفيير (الحربة) وقال :

– هل شاهدت هذا السلاح من قبل ؟

– كلا !.

– إن الرأي السائد هو أن مستر آدالز قتل بهذا السلاح ، ولا شك أن

القاتل قد انتزعه من هذه المجموعة الأثرية المعلقة فوق الجدار ، ولم تكن هذه الحربة موجودة في مكانها منذ نصف ساعة فقط .. وقد عثر بها في موضعها منذ لحظة قصيرة ، فكيف تفسر كل هذا ؟

– لا أستطيع ، إني لا أعلم شيئاً .

– والآنسة ؟ هل عثرت بها ؟

– يحتمل ، وعلى أي حال فإن الآنسة لم تخبرني بشيء في هذا الصدد !

ولما رأى الخادم أن القاضي ليست لديه أسئلة أخرى يلقيها قال يحدث الدكتور وود :

– ها هي حقيبتك يا سيدي !

ووضعها على الأرض ثم سار إلى شأنه لا يلوي على شيء

أما روفيير فقد أشار إلى مستر تريد والدكتور وود أن يتبعاه إلى البهو ثم أغلق باب حجرة الاستقبال وقال :

– إن هذا الاكتشاف يتركنا في ظلام دامس ، فما من شك في أن هذا الخادم يموه علينا . ولكن سواء أبعد هو أو الفتاة تلك (الحربة) عن مسرح الجريمة ، فإن هذا لا يهمنا كثيراً !

فسأل تريد

– أتظن أن أحدهما قد أعاد السلاح إلى موضعه ؟

– ومن سواهما يفعل ذلك ؟ ألم يقول كل عليم ببواطن الأمور ان آدمز ومسيو هكتور كانا عدوين لدودين ، لقد كان مسيو هكتور مستيقظاً ومرتدياً ثيابه ، أفلا يستنتج الانسان من هذا أن آدمز قد أقبل عليه ، فوقع بينهما صدام ، قتل آدمز في أثنائه .

فقال وود ساخراً حينما نقل اليه تريد هذا الكلام بالانجليزية :

– قل له يا تريد ان الشخص الذي قتل آدمز قد أجهز عليه بضربة قاضية . وإذا كان يعتقد أن ذلك الكهل المتهدم هو القاتل ، فإنه يكون

مأفوناً ولا ريب .

فأجاب روفيير :

– نعم إنني أوافقك على ما تقول ، لكنني اتكلم عن الفتاة ، فـأنا على يقين من أنها كانت تعتقد أن جدها هو القاتل ، حتى رأت أخيراً ذلك الحذاء ، فأدركت أنها كانت مخطئة في اعتقادها .. ولا شك أن دفاعهـا عن الأعور ، وحماستها في إعلان براءته ، يؤيد ما أقول من أنها كانت تظن أن جدها هو القاتل ..

– وفي هذه الحالة لا يسع أي انسان أن يلومها على رغبتها في التخلص من الحربة أو إخفائها ..

فقال روفيير :

– والآن ، إن التحقيق سيبدأ في السـاعـــة العاشرة من صباح اليوم في منزل الدكتور كوتيه ولا شك ان الآنسة سوف تؤدي الشهادة ، والقاضي على استعداد لعدم التعرض للظروف التي ترتب عليها وجود جدهـا هنا ، وذلك من أجل الأسرة والفتـاة نفسها ، وسيقصر دائرة التحقيق على الوقائع المادية التي تتصل بالجريمة ..

فإذا أثرنا قصة (الحربة) وكشفنا عن اختفائها ، ثم العثور عليها ، فلا بد أن يجر الحديث في هذه المسـألة إلى الخوض في تفاصيل هذا النزاع العائلي المحزن وبسطه للعيان .

إننا نعلم ان هذا النزاع لا يتصل بالجريمة من قريب أو بعيد ولست أرى موجباً لاثارته أثناء التحقيق ، أما إذا أراد رجال البوليس أن يحققوا فيـه فيما بعد ، فهذا يعنيهم وحدهم .

وقال تريد

– ولكن .. ما قولك في الحلفين ؟ ألا يحتمل أن يثيروا مسألة الجريمة ؟

– سيعرف القاضي كيف يقنعهم ، وسأسوي هذه المسألة معه ، فهل تتفضل أنت وصديقك بعدم الاشارة إلى هذا الأمر ؟

وهنا رأى مسار تريد أن يطلع الطبيب على هذا الرأي فلما استوعبه قال على الفور :

– إنني أوافق كل الموافقة ، فكل ما أبغي هو أن تصان الفتاة مما قد يمسها من هذه القضية !

الفصل الثالث عشر .

بدأ التحقيق الرسمي في غرفة الاستقبال بمنزل قاضي التحقيق ، وأتى الفلاحون يشاهدون إجراءاته ، كما حضر المصطافون زملاء تريد غولد الذين ذكرهم فيما سلف .

وافتتح القاضي إجراءات التحقيق ، وأمسك بالحربة وهي لا تزال ملفوفة في منديل تريد غولد . .

قال مخاطباً المحلفين :

– لعل الذين كانوا يترددون منكم على القصر في عهد مسيو هكتور قد رأوا هذه (الحربة) بين مجموعة الأسلحة الأثرية التي كانت معلقة فوق أحد جدران حجرة الاستقبال .

وإن مظهر الطعنة التي أصيب بها القتيل يشير على انها حصلت بآلة تشبه هذه (الحربة) . .

وفوق ذلك فقد قمت بفحص هذا السلاح بواسطة المجهر ، فشاهدت آثاراً تشبه الدماء حول المقبض . .

لكن الفحص الفني في معامل البوليس ، سيحدد هذه النقطة ، من غير شك ، ولست أنوي ان أقدم هذه (الحربة) الى حضرات المحلفين ، لأنه يتحتم علينا أن نحرص على البصمات ، التي قد تكون موجودة عليها

وهنا تبادل تريد غولد والطبيب وود نظرة ذات معنى فقد وجدا ان روفيير بر بالوعد الذي أخذه على عاتقه ، ولم يثر ظروف العثور على (الحربة) أمام المحلفين ..

واستطرد القاضي يخاطب المحلفين ، وهو يخرج حذاء من صحيفة قديمة ..

- وهذا الحذاء عثر عليه السيدان بوشيرون ولافوامبواز في سقف كوخ ماتياس ، كما سيتضح لكم ذلك من أقوالهما

فنهض أحد المحلفين وتناول الحذاء وراح يتبادل فحصه مع زملائه ، وتابع قاضي التحقيق كلامه قائلا :

– إزاء هذه الأدلة أصدرت أمراً بسجن ماتياس هرتبيس ، وقام العمدة بتنفيذ الأمر .

ولودي على جاك ليجاريه خادم مسيو ريمي ، فقرر رداً على أسئلة القاضي انه التحق بخدمة سيده منذ ثلاثة أعوام ، وشرح كيف عثر على جثة مستر آدمز في القصر .

ثم قال فيما يختص بتردد ماتياس على القصر ، إنه كان يتكفل باحضار الطعام ..

وانه رآه لآخر مرة قبل اكتشاف الجثة حوالي السابعة مساء حين احضر شيئاً من اللبن .

وتلاه الطبيب وود ، فأدلى بأقواله بالانجليزية وقام بنقلها إلى الفرنسية الاستاذ بوشيرون ..

وقرر انه يظن من طبيعة الطعنة التي أصيب بها المجني عليه انها حصلت من (حربة)..

وشرح ظروف وجوده بالقصر ، وأضاف انه أشرف على علاج الشيخ قبل وفاته ، وانه حذر الآنسة من تعريض الجسد لانفعال قد يقضي عليه وختم

شهادته قائلا :

ـ أظن أنه إذا كان شخص في مثل حالة الشيخ قد شهد وقوع الجريمة ، تصادف مروره قرب جثة المغدور ، فإن صدمة كهذه ، لا شك ، تكفي للقضاء عليه .

وقام بعده تريد غولد ، فطلب اليه أولاً ان يصف الحادث الذي وقع بين الضحية وبين ماتياس في المصيف .

فلما فرغ انتقل الى سرد الوقائع التي أعقبت إكتشاف الجثة ، وشرح كيفية العثور على آثار الأقدام ، وكيف انه رآها تمتد من موضع الجثة إلى حافة النافذة .

ونودي أخيراً على الخباز لافوامبواز فقرر انه عثر بالحذاء مخبوءاً فوق سقف الكوخ الذي يقيم به ماتياس .

وهنا ، إعتدل قاضي التحقيق في مجلسه ، وأجال بصره في الحجرة ، ثم قال :

ـ لا شك انكم جميعاً تشاطرونني ما أعرب عنه من صادق العطف لما أصاب الآنسة دي سان ريمي في شخص جدها . وقد تفضلت فحضرت الى هنا بناء على طلبي .

وهي على استعداد لأن تجيب على ما توجهونه اليها من الأسئلة التي لا تخرج عن نطاق هذا التحقيق الذي نباشره الآن .

على انني أحب ان الفت أنظاركم الى ان شهادتها لن تؤثر تأثيراً قوياً في موضوع التحقيق ، لأنها كانت نائمة في حجرتها بالقصر ، حين حصول الجريمة .

وهنا راح الحاضرون يتهامسون فيما بينهم .

وتابع القاضي كلامه :

ـ وإن الواجب يحتم علي في هذه الظروف التي بسطتها ، ان أحترم

حزن الآنسة ..

ثم نهض أحد المحلفين ويدعى أرسليديلتيير وصاح قائلا :

– إني لا أوافق على هذا الرأي .. فإنه يلوح مما سمعناه منك الآن ، ومن الشهود ان الآنسة كانت أول من طاف بالقصر بعد حصول الجريمة . اني أطلب أن تسمع شهادتها ..

فوافق المحلفون على كلامه .

وهتف بعض الحضور .

فدق القاضي الطاولة بقبضة يده وصاح :

– صمتاً ..

وصوب نظره الى حيث كان روفيير فهز كتفيه ..

وما لبث القاضي ، ان استسلم للامر الواقع . فالتفت الى الفتاة وقال لها :

– أرجو ان تتقدمي وتقسمي اليمين .

فنهضت الفتاة على الفور وتقدمت متمهلة ، بينما ساد الحجرة سكون عميق ..

وحلفت الفتاة اليمين القانونية .

وذكرت ان اسمها ادريين ستيفاني دي ســـان ريمي ، وانها في الحادية والعشرين من عمرها .

فسألها القاضي :

– كم يوماً مضى عليك في القصر انت وجدك والخادم ؟

– إننا أتينا ليلة الاثنين .

– لقد أصيب جدك ، أمس الأول ، بنوبة قلبية حادة ؛ ظل عـــلى أثرها طريح الفراش . ولما تركته في الليلة الماضية ؛ وقصدت إلى غرفتك ، لكي تنامي ، كان ما يزال طريح الفراش ، فكم كانت الساعة

حينذاك ؟

- بعد الثامنة بقليل .

- هل لك ان تقصي علينا ما حصل بعد ذلك ؟

- لقد تمددت في الفراش بملابسي ، ولم اكن أنوي ان أنام !. ولكنني كنت قد أمضيت الليلة السابقة ساهرة بجوار جدي ؛ فغلبني النعاس !. ثم استيقظت وقد خيل إلي اني سمعت صرخة ، وكان من الطبيعي ان أظن أن جدي يناديني . . ولذلك هرعت الى غرفته .

فقال أحد المحلفين :

- وكم كانت الساعة حينذاك ؟

- بعد الحادية عشرة ببضع دقائق .

ولما رأى القاضي انها باتت في حالة عصبية ، ولم تستطع ان تتم حديثها من فرط الانفعال .

فتقدم لمعاونتها وقال :

- عند ذلك لم تشاهدي جدك في حجرة نومه ، فذهبت الى حجرة الجلوس حيث اعتدتما ان تتناولا الطعام ، وهناك عثرت عليه مرتدياً ثيابه وغائباً عن صوابه ، اليس كذلك ؟

فأومأت الفتاة برأسها موافقة .

فتابع القاضي :

- أخبري السادة المحلفين ماذا حصل بعد ذلك .

- لما رأيت انه لا يفيق .. ذهبت الى جاك وأيقظته ، ثم تعاونا على حمله الى غرفته .. وبعد ذلك أرسلت جاك الى المصيف لاستقدام الدكتور وود !

فسأل القاضي :

- هناك نقطة واحدة أخرى ، يا آنسة .. هل تعرفين المتهم

ماتياس ؟

- نعم !

- هل كان من عادته ان يطوف حول القصر ليلا ؟

فترددت قليلاً ثم أجابت :

- نعم !

- في كل وقت ؟

- نعم !

- حينما رأيت جدك مغمى عليه ، ألم تسمعي صوتاً ما في القصر ، أو فيما حوله ؟

- كلا !

- ألم تشاهدي أحداً ؟

- كلا !

- هل كنت نائمة طوال الفترة بين الساعة الثامنة والحادية عشرة ، أو بعدها بقليل ؟

- نعم .

- وعلى ذلك لم تسمعي آدمز أو القاتل حينما وصلا ؟

- كلا .

وهنا نهض المحلف بلتيير واستأذن القاضي في أن يطرح سؤالا على الفتاة ، فلما أذن له قال :

- أين كان جدك بالضبط وهو منطرح على الأرض ، حينما دخلت إلى حجرة الجلوس ؟

فترددت الفتاة قليلاً ، ثم أجابت في صوت خافت :

- الواقع انني عثرت عليه ممدداً في البهو .

عند ذلك كرر القاضي عبارتها في صوت حاد قائلاً :

– في البهو ؟. لقد فهمت من الطبيب .

واتجه ببصره إلى ناحية ورد .

فقالت الفتاة في لهجة عصبية .

– أخشى ان أقول انني قد أفهمت الطبيب خطأ ، عن غير قصد .. فإنني كنت منزعجة حينما رأيت جدي على تلك الحال، ولم أكن أعي ما أقول. على اني حينما ثبت إلى رشدي بعد ذلك وفكرت في الأمر ..

فقال المحلف بلتيير :

– أرجو ان تتفضل الآنسة بالإجابة على سؤالي .. أين كان جدك ممدداً حينما عثرت عليه ؟

فجعلت الفتاة تتلفت حولها في شيء من القنوط . ثم أجابت قائلة :

– إنه لم يكن ممدداً .. بل كان واقفاً ؟

فسأل القاضي في دهشة :

– كان واقفاً ؟ أين ؟

– كان واقفاً خارج باب حجرة الاستقبال ، يئن ويقبض بيده على صدره ! ولما دنوت منه . هوى بين ذراعي !. وبعد ذلك حملته إلى غرفة الطعام . حيث تركت الشمعة .

فسأل القاضي :

– وهل ذكر شيئاً ؟

– لقد أغمي عليه على الأثر .. ثم تركته وذهبت للبحث عن جاك .

واستأنف بلتيير أسئلته فقال :

– وهل كان باب غرفة الاستقبال مفتوحاً او مغلقاً ؟

– انني لم القِ بالي على ذلك .. في تلك الظروف .

– ماذا تعنين بقولك (في تلك الظروف) ؟

– لما ذهب جاك لاستدعاء الطبيب ، وجدت ان الاقراص المسكنة

التي يتعاطاها جدي بقيت في حجرة الطعام .. فذهبت لإحضــارها . وحينئذ رأيت ضوءاً ينبعث من حجرة الاستقبال .. ولا بد ان هذا الضوء كان هناك طول تلك المدة !.

ولكني لم أفطن اليه لما استولى علي من اضطراب لدى رؤية جدي على تلك الحال .

على اني تقدمت في البهو وشاهدت باب غرفة الجلوس مفتوحاً قليلا .

فدفعت أحد مصراعيه .. وهناك وقع بصري على شخص ممدد فوق الأرض بجانب المصباح !

وكان هذا الشخص هو جريون آدمز .

– هل عرفته إذ ذاك ؟

فأومأت برأسها إيجاباً وقالت :

– لقد رأيت انه فارق الحياة .. ولم يكن بوسعي ان أفعــل شيئاً من أجله .. ثم ان جدي كان مغمى عليه في حجرته .. وكان كل همي موجهاً إلى العمل على إعادته إلى رشده ..

ثم أقبل الطبيب ، ووصل بعده القس .. وقرر الطبيب ان جدي قد فارق الحياة .. ولما تذكرت بعد ذلك ما حصل لآدمز ، كان جاك قد اهتدى اليه .

ولاحظ تريد غولد ان الفتاة قد أنكرت أمامه معرفتها بوجود القتيل ولم تصرح بهذه الحقيقة إلا الآن أمام الحاضرين . ولا شك ان هذا يؤيد رأي روفيير في أنها كانت تعتقد أن جدها هو الذي قتل آدمز . ولذا لم تشأ أن تشير بشيء إلى ذلك ..

نهض روفيير وقال :

– أرجو ان يسمح لي سيدي القاضي بكلمة ..

فساد القاعة سكون تام وشخصت الأبصار الى العمدة ، فقال وهو يشير

إلى المحلف إشارة ودية .

– إن ما أريد ان أقرره ، هو ان صديقي أرستيد قد استطاع بأسئلته وبما أبدته الآنسة من الصراحة التامة في الإجابة عليها ، أن يقرر مسألة على جانب عظيم من الأهمية .. شكراً للاخ بلتيير .. فنحن نعلم الآن ان ادمز كان قد قتل بعد الساعة الحادية عشرة مساء ، وهو الوقت الذي وجدت فيه الآنسة جدها مغشياً عليه .

وابتسم روفيير للمحلف وقال :

– اليس هذا ما كنت تبغي الوقوف عليه ، من أسئلتك ، يا مسيو بلتيير ؟.

فاغتبط المحلف بهذه اللهجة ، وابتسم للعمدة ابتسامة العارف بقدر نفسه ، ثم استقر في مقعده .

ودهش تريد غولد ، من مقدرة روفيير وبراعته ، في التأثير على المحلفين !.

ولا شك انه كان أدرى الناس بنفسية أهل قريته وأطوارهم .. كما لا شك انه قد بر بوعده بحماية الفتاة والدفاع عنها .

وما لبث المحلفون ان فرغوا من مداولتهم ..

ووقف بلتيير ونطق برأي المحلفين ، فإذا هو يعتبر القضية قتل عمد ضد ماتياس هرتيبس

* * *

وعندما انصرف تريد غولد أجال الطرف حوله ، باحثاً عن صديقه الدكتور وود ، ولكنه لم يقع له على أثر . فقصد بمفرده الى المصيف ، ولم

يكد يصل الى (الجراج) ، حتى رأى تيسيران منطلقاً ، وبيده أدوات الصيد . .

قال تيسيران :

- لقد أثبت عمدة سان فلورنتين انه على جانب عظيم من البراعة ، فقد وضع يده على عنق القاتل !. وأظن انه سيشنق قبل ان يصل رجال بوليس كويبك

- أنا لا أعرف شيئاً من إجراءات البوليس في هذه البلاد . فهل رجال البوليس عندكم على شيء من المهارة ؟

- إنهم لا يجدون في كويبك مثل الفرصة التي يجدهـا افراد البوليس عندكم في نيويورك .. حيث ميدان الجرائم فسيح .. ولكني أعرف واحداً او اثنين من افراد البوليس عندنا على قدر عظيم من الذكاء . وأخص بالذكر مسيو بيجوري . فهو شخص واسع المعرفة يجيد الانجليزية والفرنسية وقد كان هو الذي انتدب للتحقيق بجريمة مقتل حارس الطاحون وهو الذي كان سبباً في براءة الأعور .

فأطرق تريد برأسه مفكراً ثم قال :

- من يدري فقد يكون الأعور بريئاً هذه المرة كذلك .

اني أظن ان هذا المتهم يستطيع ان يثبت وجوده في مكان اخر في الوقت الذي وقعت فيه الجريمة .

- و كيف ذلك ؟

- إنه كان ثملا .. ومن المؤكد انه شرب خمراً كثيراً في الحانة التي يديرها سراً المدعو (ليرميت) وهـو من أكبر وأبرع مهربي الخمور هنـا . وفي اعتقادي ان الأعور اراد ان يتستر على هذا المهرب لسبب ما .. أو . ولكن ما هذا ؟

وأشار الى طائرة مائية في الجو ، أخذت تهبط بالتدريج حتى استقرت على

سطح البحيرة .

وما ان هبـط ركاب الطائرة ، ورآهم تيسيران ، حتى صاح بصوت مرتفع :

. آه ! هوذا صديقي بيجوري !. ومن هذا أيضاً ؟ الدكتور بيرونو . الطبيب الشرعي لقد أتيا ، ولا شك للتحقيق في حادث مقتل مستر آدمز . إنهما صديقاي ياعزيزي تريد !. دعني أقدمك اليهما !. ولا شك أن ميولك الى الأبحاث الجنائية ستوثق أواصر الصداقـــة بينك وبينهما !. وأنت ، فضلا عن ذلك ، تملك سيارة فاخرة .. ولا شك انهما سيحتاجان اليها في تنقلاتهما .

الفصل الرابع عشر

أوقف الدكتور وود سيارته في بقعة هادئة من الغابة تغطيها الحشائش الخضراء والتفت إلى أدريين وقال :

– الآن قد انفذنا القسم الأول من العلاج الذي قررتــه لك ، فتنسمت الهواء الطليق ، أما القسم الثاني فيتخلص في ان نجلس هنــا على الحشائش وندخن لفافة تبغ ، فالتدخين يهدىء أعصابك ويفيدك بعد هذه الحوادث المزعجة !

وكان الدكتور وود قد فهم من حديث دار بين الفتــــاة والقس عقب التحقيق ان جثة مسيو هكتور دي سان ريمي قد نقلت الى الكنيســة تمهيداً لدفنها .

وان الفتاة ستقيم في الدير مؤقتاً ، حتى تحزم أمرها بشأن المستقبل !

وقد طلبت الفتاة إلى القس ان يسمح لهـــا بالعودة إلى القصر لاعداد أمتعتها وحقائبها استعداداً للانتقال إلى الدير .

فانتهز (وود) الفرصة .

واقترح على الفتاة أن يذهب بها إلى القصر في سيارته ، فوافقت أدريين على هذا الاقتراح .

ومـــا أن ابتعدت السيارة بالشابين حتى التفت ورد الى الفتاة وقال لها :

– إن هذه الحوادث المحزنة قد أثرت على أعصابك وصحتك وأعتقد ان جولة في الهواء الطلق تفيدك ، فهل تسمحين بأن أرتاد بك في السيارة بعض مسالك الغابة قبل أن ننطلق إلى القصر ؟

فوافقت الفتاة في الحال .

وراقه منها بساطتها وصراحتها .

وقطعت بهما السيارة شوطاً كبيراً .

ثم أوقفها الطبيب في تلك البقعة المزدهرة بالحشائش ، فجلس مع الفتاة على جذع إحدى الأشجار !

وقدم اليها لفافة تبغ فتناولتها في غير تردد .

ثم سألت صاحبها فجأة وهي ترقب سحب الدخان المتصاعـدة من لفافتها :

– هل تقيم دائماً في نيويورك يا دكتور ؟

– نعم ، فهل تعرفين هذه المدينة ؟

– كلا .. ولكن أود لو تتاح لي الفرصة فسأزورهـا . إنني أحب المدن الكبيرة .. ولا أعرف كيف سأقضي الأيام المقبلة في الدير كما اقترح القس ..

– هل أمضيت مدة طويلة في باريس ؟

– إنني أقيم فيها منذ أربعة أعوام . أي منذ بلغت السابعة عشرة من عمري ، وكنت عندما فقدت أبي وأمي أتأهب لدراسة الفنون ، فرحلت من لندن إلى باريس .. ولما غرق والداي في حادث التصادم ، كتب إلي جدي يدعوني إلى الاقامة معه في كندا ، ولكني آثرت البقاء في باريس ، فأوقف علي مرتباً شهرياً ، وبعد عام واحد لحق بي جدي

إلى هناك !

- هل كنت تؤدين عملا ما في باريس ؟

- كنت أشتغل بوضع رسوم الأزياء لبعض المخازن الكبرى .

- ولكن ما سر الخلاف الذي حصل بين جدك ومستر آدمز ؟

- لو أنك عرفت جدي وعاشرته ، لأستنكرت التهمة التي كان آدمز ينسبها اليه ، فجدي لم يأكل أموال شقيقته (أنيتا) ، وكل مـــا في الأمر إنه لم يكن شخصا عمليـا ، فلم يستطع إدارة أملاك أبيـه كما يجب ..

ولقد شجر الخلاف بين جدي وآدمز مرتين ، الأولى في هذا القصر وكان السبب تباين ارائهما السياسية .

وقد احتد جدي عليه فطرده من القصر شر طردة .. وكان ذلك هو في الواقع السبب الرئيسي في حنق ادمز ، فأراد أن ينتقم لنفسه بتشويه سمعة جدي !

ثم وقع بينهما خلاف اخر في باريس ، وفي هذه المرة هدد جدي خصمه بالقتل !

- وكيف علمت بذلك ؟

- كنت هناك ، وقد لحق بنا آدمز إلى باريس ، وعرض على جـــدي اقتراحا ..

- أي اقتراح ؟

- عرض عليه أن يقترن بي

فهتف الشاب في ذعر

- ماذا تقولين ؟

فابتسمت الفتاة وتابعت :

– هذه هي الحقيقة ، انه عرض الأمر علي أولاً ، وقـــال لي أنه على استعداد لأن ينسى الماضي ويعود بنا جميعاً إلى القصر إذا أنا قبلت الاقتران به .. بل وعرض أكثر من ذلك انه على استعداد لأن يمنح والدي مرتباً شهرياً ثابتاً إذا أراد الاقامة وحده في مونتريال أو كويبك .

– وماذا كان ردك ؟

– طلبت اليه أن يعرض الاقتراح على جـدي ، ولكنه لم يكد يسمع اقتراحه حتى ثارت ثائرته ، ووثب إلى مسدسه وأمر آدمز بأن ينصرف في الحال إذا لم يشأ أن يموت قتيلاً .

– وماذا فعل آدمز ؟

– انصرف في الحال .. لأنه لم يكن على شيء من الشجاعة .

– مسكينة أنت . لقد مرت بك في هذين اليومين ساعات عصيبة ولكن ما قولك في أن تقيمي في المصيف عوضاً عن الدير ؟ إنك في أشد الحاجة إلى الترفيه عن نفسك بعد هذه الحوادث ؟

وقد أصاب هذا الاقتراح هوى في نفس الفتاة .

فأجابت :

– ولكن ماذا يقول الناس إذا أقمت في مصيف لا يقيم فيـه غير هواة الصيد من الرجال ؟

– من قال لك ذلك ! إن بالمصيف أكثر من سيدة ..

فصمتت الفتاة !.

ونظر اليها الشاب مستعطفاً وسألها :

– إذا وافقت على هذا الاقتراح ، فإننا نتصل بالقس وننبئه بأنك عدلت عن الاقامة في الدير .

فنظرت اليه بعينين صافيتين ..

ثم سألته :

– ولكن ، لماذا تفعل كل ذلك من أجلي .

فاضطرب !

ثم قال بلسان يتلعثم :

– لأنني أشعر بأنك يجب أن تكوني أسعد مما أنت الآن .

فابتسمت وأجابت :

– إذا كان ذلك كذلك فإني أوافق على اقتراحك .

الفصل الخامس عشر

دخل الطبيب والفتاة القصر ، وراح الأول يتفقد الغرف باحثـــاً عن (جاك) ظناً منه انه عاد من منزل قاضي التحقيق ، ولكنه لم يقع له على أثر !

وشرعت الفتاة في إعداد أمتعتها وحقائبها ..

ووقع بصرها وهي تفعل ذلك على حافظة كانت قد وجدتها في الليـلة السابقة في ثوب جدها بعد وفاته .. ووضعتها بين الأمتعـة دون أن تعلق عليها شيئاً من الأهمية .

أبصرت بالحافظة .. ووجـدت أن الوقت يسمح لهـــا بفحص محتوياتها !

فأخرجت منها بعض أوراق عادية تصفحتها بسرعة !

وإنها تفعل ذلك إذا برسالة تسقط من بين الأوراق فتناولتها، وقلبتها بين أصابعها فلقيتها مغلقة .

وقرأت على غلافها هذه الكلمات :

(إلى أدريين بعد موتي)

عرفت الفتاة خط جدها !

ففضت الرسالة بسرعة ، فلقيتها مكتوبة باللغة الفرنسية ، فقرأتها باهتمام

وكان الدكتور وودير قبها وهي تفعل ذلك، فرأى على وجهها علامات التفكير العميق .

سألها :

– ما هذه الرسالة ؟

- إنها رسالة كتبها لي جدي قبل وفاته ، وقد كتبها باللغة الفرنسية ، وأنت لا تفهم هذه اللغة ، فدعني الخص لك مضمونها .

انه يقول في هذه الرسالة انه كان دائماً شديد الاهتمام بضمان مستقبلي ، وانه لذلك لم يبع جميع مخلفات آبائه كما يعتقد الجميع ، بل احتفظ منها بتحف اثرية ، بعضها من الذهب وبعضها الآخر من الفضة ، ولكنها جميعاً ذات قيمة كبيرة ، لأنها هدايا من ملوك فرنسا إلى أسلافنا ..

وهو يقول انه خبأ هذه التحف الثمينة في الغرفة الزجاجية التي بالطابق الثاني ..

وهي غرفة كان قد أعدها لتكون مرسماً ، ويؤكد انه اخفى هذا الكنز المائلي في أرض الغرفة تحت دولاب خشبي هناك ، فما قولك في هذا ؟

– إذا كان ذلك صحيحاً ففي استطاعتنا البحث عن هذه التحف الآن ! أين السلم المؤدية إلى الغرفة الزجاجية .

وتأبط ساعدها . وانطلقا معاً إلى حيث كانت السلم ، فارتقياها بسرعة ودخلا الحجرة ، وكانت الأتربة قد تراكمت على سقفها الزجاجي فحجبت عنها ضوء الشمس .

ولكن الشابين لم يجدا صعوبة في رؤية الدولاب الذي تحدث عنه الشبح في رسالته إلى حفيدته .

وتقدم الطبيب ففتح إحدى النوافذ القريبة من الدولاب .

وقالت الفتاة :

— يقول جدي انه اخفى التحف الأثرية في أرض الغرفة تحت الدولاب ، فهل نزحزح الدولاب ؟

— لا أظن أن ذلك في استطاعتنا ، ولكن صبراً ، لنفتح الدولاب أولاً ، فربما وجدنا في قاعدته ثغرة ترشدنا إلى مخبأ التحف .

قال ذلك وانحنى ليفتح الدولاب .

ولكنه ما كاد يفعل ذلك ، حتى سمع صيحة رعب وفزع تفلت من فم الفتاة .

ذعر الطبيب الشاب ورفع رأسه ليرى ما الخبر ، ولكنه شعر فجأة بأداة ثقيلة تصيب رأسه .

أحس بدوار وسقط على الأرض ولم يستطع حراكاً .

وعندما استرد رشده وملك نفسه بعد بضع دقائق لم ير الفتاة ، فنهض واقفاً وراح يصيح :

— أدريين ! أدريين ! أين أنت ؟

فسمع صوتاً صادراً من أسفل السلم .

كانت تصيح :

— هأنذا ، سأعود اليك !

وما هي إلا لحظة ، حتى لحقت به وهي شاحبة اللون مرتجفة الأوصال .

أحاطت رأسه بكفيها وهتفت في خوف :

— هل أصابك سوء ؟ لقد خفت أن تكون قتلت فهربت ولكن يا لله ، إن الدم يسيل من رأسك .

— اطمئني ، فالاصابة سطحية ، ولكن حدثيني ماذا حدث بالضبط .

— لا أعلم ، لا أعلم ، كل ما هناك اني رأيت يداً تمتد من النافذة التي فتحتها وكانت ممسكة بشيء خيل الي انه شمعدان قديم ، فاستولى علي

الفزع : وصرخت خوفاً ، ولكن اليد هوت بالشمعدان فأصابت رأسك !
الم يقع بصرك على صاحب هذه اليد !
– اني لم أتبين وجهه ، بل ولم أر رأسه .

وهنا وقع بصر الطبيب على شيء ملقى على الأرض ، ولم يكن قد رآه قبلا ، فتناوله فإذا هو حقيبة صغيرة من القماش
فابتسم وقال :
– هذا هو السر في انك لم تتبيني وجهه ، انه اخفى رأسه تحت هـذه الحقيبة .

وطوى الحقيبة ووضعها في جيبه ، ثم انطلق الى باب الغرفـــة وأرهف السمع جيداً .
ولكنه لم يسمع أي صوت يدل على أن هناك شخصاً يبتعد ، فعاد أدراجه وركع أمام الدولاب وفتح بابه ! وتلمس قاعدته . .
ثم هتف :
– لقد صدق ظني ، إن للدولاب قاعدة متحركة .
وحرك قاعدة الدوب ، ودس يده في الفجوة التي تكشفت عنها القاعدة ، ثم نظر إلى الفتاة وقال وعلى وجهه دلائل الحيرة .

– لقد سبقنا بعضهم إلى هذا المخبأ وحمل التحف !
– ماذا تقول !
– انني توقعت ذلك عندما أصابتني الضربة من ذلك الغريم المجهول .
والآن هلمي بنا ، أعدي حقائبك ولننطلق إلى المصيف .
وقصدا الى الغرفة التي تركت فيها الفتاة أمتعتها !

ولكنهما ما كادا يدخلانها حتى سمعا صوت سيارة تقترب !
فانطلقا الى الباب الخارجي ووقفا في انتظار قدوم السيارة ، ولكنهما سمعا فجأة وقع اقدام تدب خلفهما .

فتحولا إلى الوراء وأبصرا بالأستاذ بوشيرون مسجل العقود وكان لتوه خارجاً من إحدى الغرف .

دهش الشابان . وتبادلا نظرة ذات معنى ، وقالت أدريين أخيراً وهي تصمد مسجل العقود بعينيها :

ــ هل دخلت القصر منذ زمن طويل يا مسيو بوشيرون .

فرد بصوت هادىء رزين :

ــ لقد كنت أسير على ضفة الغدير بجانب القصر ، فتذكرت أن حارس المصيف انبئني بأن أحد مفتشي البوليس أتى خصيصاً من (كوبيك) لتحقيق حادث مصرع مستر آدمز ، ولما كنت واثقاً من انه سيحضر إلى القصر في الحال لمعاينة مكان الجريمة ، وانه لا بد سيحتاج إلى سماع اقوالي ، لذلك فكرت في أن ..

وقبل ان يتم كلامه ، وصلت السيارة إلى باب القصر ، ووثب منها مسيو روفيير العمدة .

قال روفيير محدثاً المسجل ·

ــ هل حضر مفتش البوليس

ــ كلا ، لم يحضر بعد ، ولكن كيف علمت بمجيئه ؟

ــ إن الاشاعات تترامى بسرعة البرق ، والانسان لا يصم اذنيه .

وشد روفيير على يد الطبيب والفتاة وسألها ·

ــ هل علمتما بمجيء مفتش البوليس ؟

فرد وود :

ــ إننا سمعنا هذا النبأ في التو واللحظة ، ولكننا لسنا بحاجة إلى انتظاره .

ثم تحول إلى الفتاة وقال لها :

ــ هلمي بنا ، هل أعددت حقائبك ؟

فسأل المسجل :

– أين تريدين الذهاب مع الطبيب يا آنسة ؟

– لقد تفضل الدكتور وود ودعاني إلى الاقامة في المصيف .

– إذا أردت رأيي فاني اقترح عليك تأجيل الرحيل الآن ، حتى يحضر مفتش البوليس ، إذ لا شك انه سيضطر إلى سؤالك ..

فقاطعته في غضب :

– إنني لست بحاجة إلى رأيك يا مسيو بوشيرون ، فاحتفظ بنصائحك لنفسك .

الفصل السادس عشر

تخلف الدكتور بيرونو في المصيف وانطلق بيجوري مع تريد غولد بسيارة هذا الأخير في الطريق إلى القصر .

وساد الصمت بينهما أول الأمر إلى أن بدأ تريد الحديث بقوله :

– اظن ان هذه ليست أول مرة تزور فيها هذه الناحية ، فقد قيل لي انك جئت قبل الان للتحقيق في حادث مصرع حارس الطاحون ، وكان المتهم في هذا الحادث هو بعينه ماتياس الأعور ، الذي يتهمونه الآن بقتل مستر آدمز .

– هذا صحيح ، ولكني وجدت أن الأدلة ليست كافية رغم إصرار العمدة على إتهام ماتياس . .

وصمت بيجور لحظة ثم عاد فاستطرد :

– لقد أنبأني صديقي تيسيران انك الذي جمعت الأدلة ضد الأعور .

– هذا صحيح للأسف الشديد .

– ولماذا الأسف ؟

- الواقع اني من هواة الأبحاث الجنائية ، وقد وضعت نصب عيني منذ البداية ان الأعور هو المجرم ، وشرعت أجمع الأدلة على هذا الاعتبار ، فلم يكلف العمدة وقاضي التحقيق نفسيهما مؤونة مناقشتي ، وأمرا بالقاء القبض

على الأعور .

– وهل حدث ما يحملك على ترجيح براءة المتهم ؟

فصمت تريد لحظة ثم سأل :

– هل ذكر لك تيسيران جميع أدلة الادانة ؟

– نعم !

– وهل حدثك بحكاية القدم التي وجد أثرها الدامي بالقرب من الجثة ؟

– نعم !

– هل تظن ان الانسان إذا وطأ بقدمه دماً سائلاً ترك حذاؤه أثراً واضحاً وسط الدم السائل ؟

فتحول اليه بيجوري بحدة وهتف

– آه ، هذه ملاحظة على جانب عظيم من الأهمية .

فاستطرد تريد :

– كان من المستحيل أن يصل آدمز إلى القصر بعد الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ ، لأن الأمطار بدأت تهطل في ذلك الحين ، وقد وجدنا ثيابه جافة ، وحذاءه نظيفاً ، مما يدل على انه لم يكن في الخلاء عند هطول الأمطار . هذا وقررت الفتاة أثناء التحقيق أن آدمز كان ميتاً فعلاً في الساعة الحادية عشر ، او بعد ذلك بدقائق ، فاذا فرضنا أنها عثرت بالجثة بعد الوفاة بعشرين دقيقة مثلاً ، فهل يجوز لنا ان نظن بأن هذه الدقائق كافية لأن يتجمد الدم في خلالها بحيث يحفظ أثر القدم ؟

– كلا !

– إن وجود دماء على حذاء الأعور ، ووجود أثر قدمه بجانب الجثة ، يدل على انه زار مكان الجريمة فعلاً ، ولكن الزيارة كانت بعد ارتكاب الجريمة بل وبعد ان أخذت الفتاة جدها إلى فراشه .

وكان الأعور ثملاً ، والمؤكد ان منظر القتيل اوقع الذعر في قلبه ،

وأفقده صوابه ، فهرول إلى غرفة الطعام ، ووثب من نافذتها إلى الخارج ، بعد أن ترك آثار قدميه على طول الطريق ، وعلى حافة النافذة ، ولما رأى نفسه في الخلاء أطلق ساقيه للريح ، وذهب إلى كوخه حيث ظل حتى ألقي القبض عليه .

وثمة أمر آخر .. فأنا أظن أن الأعور يستطيع أن يثبت انه كان في مكان اخر بعيد عن القصر في نفس الساعة التي ارتكبت فيه الجريمة .

إن الأعور يعترف بأنه اسرف في الشراب ، ولكنه لم يذكر أين تناول الخمر التي اثملته ، ولكني علمت ان في القرية مكانـــاً للمشروبات الروحية التي يحرمها القانون يديره شخص يدعى (ليرميت) .

— هل تظن انه لزم الصمت ، ولم يذكر أين كان حين ارتكاب الجريمة ، لكيلا يورط (ليرميت) ويثبت خروجه على القانون ؟

— ذلك هو رأيي .

— وهل تظن ان الأعور يرضى بأن يضحي بحياته لمصلحة (ليرميت) ؟

— أنا أظن ان الأعور في حالة ذعر وفزع شديدين .

— وإذا كان حقاً لم يقتل ، فلماذا لا يذكر ذلك صراحة

- الجواب على ذلك سهل بسيط ، فالأعور هو ابن أحد مستأجري أملاك أسرة سان ريمي ، فإذا كان قد قبل أن يحتمل مسؤولية الجريمة فانه يكون قد فعل ذلك ظناً منه بأن الشيخ أو الفتاة او كليهما ارتكبا الجريمة ، فأراد أن يدفع عنهما التهمة بتضحية نفسه .

— ولكن إذا افترضنا ان الأعور بريء فمن يكون المجرم إذن ؟

— إذا كان الأعور بريئاً ، فان الجريمة تكون من أعقد الجرائم .

. ان في هذه الجريمة بعض نواح لا أستطيع إلى فهمها سبيلا ، من ذلك مسألة الحربة ، ومن الذي وجدها ؟

— من الواضح الجلي ان احد شخصين كان أول من عثر بالجثة ، وهذان

الشخصان هما جاك والفتاة .

ومعنى ذلك ان أحد هذين لا بد أن يكون قد عثر بالحربة ، فانطلق بها ، وأزال أثر الدماء عن نصلها ، ثم ردها إلى موضعها .

- على اعتقـــاد أن مسيو هكتور دي سان ريمي هو الذي ارتكب الجريمة .. وان الواجب يفرض باقصاء هـــذه التهمة عنه حرصاً على سمعته ؟

- هذا الفرض ينصب على الفتاة دون الخادم ، لأن هذا الأخـير لا بد كان يعلم أن مولاه من الضعف بحيث لا يستطيع أن يطعن آدمز طعنـة قاتلة .. ولذلك يحتمل أن تكون الفتاة قد توهمت أن جدهـا هو الذي ارتكب الجريمة ، وان يكون الخادم قـد ظن أن الفتـــاة هي التي ارتكبتها .

وهنا نظر بيجوري إلى محدثه في فضول وسأله :

- هل أنت من هواة الأبحاث الجنائية ؟

- نعم !

- إذا طلب اليك تحقيق هذه الجريمة ، فمن أية ناحية تبدأ ؟

فأطرق تريد برأسه ..

ثم قال :

- إنني أبدأ بالبحث عن أجوبة ثلاثة أسئلة .

- ما هي ؟

- الأول ، لماذا قدم مستر آدمز إلى سان فلورنتين ؟

- ألا تظن انه أتى لمجرد الترفيه عن النفس بصيد السمك ؟

- إذا صح ذلك كانت المصادفة عجيبة . وأنا لا أريد أن أقيم وزنـاً للمصادفات .

- وما هو السؤال الثاني ؟

– كيف وصل آدمز الى غرفة الجلوس ؟

– هل كونت رأياً في ذلك ؟

– كلا !

– والسؤال الأخير ؟

– من ذا الذي يحتذي نعلاً من المطاط في ليلة الجريمة

– وما الغرض من هذا السؤال ؟

– صبراً حتى نصل الى القصر . فهناك أستطيع أن أوضح لك الغرض ..

الفصل السابع عشر

وعندما وصل الرجلان الى القصر ، عثرا ببابه سيارة ..

قال تريد غويد عندما رآها :

– هذه سيارة العمدة .

فسأل بيجوري :

– ماذا أتى يفعل هنا ؟

لا بد انه علم بمجيئك فسبقك الى هنا ، ولكن دعني أدلك على الآثار التي وقعت عليها قبل أن تقابل العمدة أو سواه ..

ثم قصد به الى الطعام ، ودله على الأثر الذي تركه الأعور على قاعدة النافذة ، ثم أطل من النافذة وأشار الى أثر حذاء ظل ظاهراً في الأوحال وقال :

– هوذا الأثر لذي حدثتك عنه ، انظر الى الثقوب الصغيرة ، إنها تدل على أن الحذاء من المطاط .

– وهل هناك أثر أقدام أخرى ؟

– كلا . وأنا أظن أن الاعور فر من النافذة ، ولكنه اتى من مكان آخر .

– من المؤكد أن شريداً مثل الأعور لا ينتعل حذاءين ، أحدهما من

المطاط .

ثم رافق تريد المفتش الى مدخل القصر ، وأشار الى لطخة في الأرض لم يدركها ماء المطر وقال :

– تأمل الارض حول هذه اللطخة ، إنها موحلة من تأثير الأمطار .

– وما السر في جفاف هذه اللطخة ؟

– لا شك أن سيارة وقفت هنا طيلة المدة التي استمر فيها هطول المطر .

– آه ، هذا صحيح ، ومتى بدأ هطول المطر ؟

– بدأ في الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ وانتهى في الساعة الحادية عشرة ، ولم تمطر السماء بعد ذلك .

– وماذا تفهم من كل هذا ؟

– الذي أفهمه ، أن صاحب السيارة ، أو الشخص الذي ترك سيارته هنا في أبان هطول المطر ، قد وصل الى القصر في مثل الوقت الذي وصل فيه مستر آدمز .

– ومعنى ذلك ان صاحب السيارة هو المجرم ؟

– ذلك ما يتراءى لي .

ففحص بيجوري الآثار التي تركتها إطارات السيارة التي يزعم تريد انها سيارة المجرم ، ثم قال :

– إن اطار السيارة من النوع المسطح الحافة كاطار هذه السيارة .

واشار الى السيارة التي رآها بالباب والتي كان يظنها سيارة العمدة وسأله :

– سيارة من هذه ؟

فاقترب تريد من السيارة ومس بعض أجزائها ثم قال :

– لا أعلم ، ولكن يلوح لي أنها هنا منذ مدة طويلة ، فإن محركها بارد وكذلك جميع أطرافها .

فنظر بيجوري الى داخل السيارة ووجد حافظة أوراق كبيرة فتناولها

وتناول من بين محتوياتها غلافاً قرأ عليه هذا العنوان :

« مسيو مارسيل بوشيرون ، مسجل عقود » .

قال .

ـ بوشيرون ! أنا أعرف صاحب هـذا الاسم ، انه محامي اسرة سان ريمي ، اليس كذلك ! اذن فهو موجود بالقصر الآن ..

وصمت لحظة ثم استطرد :

ـ هل تظن انه الذي جاء الى القصر بسيارته ليلاً !

ـ لا أعلم ، ولكنه قرر انه عاد من (تروا بون) في ساعـة متأخرة من الليل .

الفصل الثامن عشر

وقفت بالباب سيارة ثالثة ، وهبط منها ثلاثة أشخاص ، هم كورتيه قاضي التحقيق ، والدكتور بيرونو الطبيب الشرعي ، ورجل من أفراد البوليس هو الكونستابل بيسونيت . وكان قد أتى من كويبك بالطائرة المائية في رفقة بيجوري وبيرونو .

ودخل الجميع القصر وخف روفيير وبوشـيرون لاستقبالهم ، فصافحهما بيجوري وهو يقول محدثاً العمدة :

ـ أرى انك لم تضع وقتك هباء وانك وفقت في القبض على المتهم وإدانته وهذا عمل سريع تستحق عليه التهنئة

فابتسم العمدة وأجاب :

ـ إنني بذلت كل ما بوسعي يا سيدي .

فالتفت بيجوري إلى قاضي التحقيق وسأله :

ـ هل استدعيتم الرجل المدعو (ليرميت) أو سمعتم أقوال الدليـل (باتيس) ؟!

فنظر قاضي التحقيق ، إلى العمـدة ، حائراً ، كأنـه يلتمس معونته ..

وخف العمدة لنجدته إذ قال .

– إننا لم نر ما يدعو إلى استجوابها .

وفي هذه اللحظة ، التفت الكونستابل بيسونيت إلى الدكتور بيرونو ، وقال له :

– من الأفضل ان نبدأ في الحال عملية فحص الجثة .

وقال بيجوري :

– نعم . إفعل ذلك !. بينما أقوم باستجواب الفتاة ، والخادم جاك .

فقال روفيير :

– إن الخادم هنا ، أما الفتاة فقصدت إلى المصيف ، برفقة الدكتور ورد .

– حسناً . أود أولاً ان القي نظرة على مضبوطات القضية .. أريد ان أرى الحربة ، التي ارتكبت بها الجريمة .. والمكان الذي وجدت به الجثة .

فقدم اليه قاضي التحقيق المضبوطات جميعاً .

ففحصها ، وهز رأسه وقال :

– مما لا شك فيه أن بصمات الأصابع على هذه الأشياء ، قد ضاعت معالمها جميعاً ..

ولكني أرجو أن نجد آثار بصمات على المصباح . اللهم إلا إذا كان المجرم حمله بمنديل .

ثم طلب استدعاء جاك .. فأقبل هذا ، وهو شاحب اللون ، مرتجف الأوصال .

ورأى الخادم الحربة في يد مفتش البوليس .

فحبس أنفاسه وانتظر ما سيلقى عليه من الأسئلة ، فهز بيجوري الحربة في يده ، وصاح :

– ماذا تعرف عن هذه الحربة ؟. إنك كذبت فيما ذكرت قبلاً .. أما الآن فيجب ان تقول الصدق .

إن الأدلة ضدك قوية !. ولو شئت ، لألقيت القبض عليك في الحال .

فصاح الخادم :

– كلا . كلا يا سيدي انني بريء .

فصرخ به بيجوري :

– إذن تكلم !

– إن مستر آدمز كان ميتاً حين رأيته !. وكانت الحربة مرمية بالقرب منه ، وهي ملوثة بالدماء فذهبت بها إلى غرفتي وأخفيتها هناك قبل أن ..

– لماذا أخفيتها ؟

– لأحمي مولاي .. وأدفع عنه التهمة !. إنه كان من أكرم الناس علي .

– تعني إنك توهمت ان سيدك هو المجرم ؟

– نعم . ومن سواه ؟

فقال تريد غولد :

– لقد ذكر لي جاك ، انه لم ير آدمز قبلاً ، ولم يكن يعرفه .

فرد جاك :

– إنني فعلت ذلك لحماية سيدي كذلك . إنهما كانا عدوين لدودين ، وقد حدث في باريس ان سيدي هدده بالقتل .

– وكيف دخل في روعك ان شيخاً عليلاً كسيدك لديه القوة لقتل إنسان بطعنة حربة ؟

فصمت الخادم ولم يجب وقال البوليس السري :

لم يكن هناك معنى للاستمرار في الكذب بغية حماية سيدك بعد أن توفي الشيخ اليس كذلك !

– لم أفكر في ذلك حين عثرت بالحزبة .

– ولماذا لم تذكر الحقيقة بعد الوفاة ؟

– لصيانة إسمه وسمعته .

– أنت تكذب !. إنك كنت تريد حماية الفتاة . إنها التي ارتكبت جريمة القتل .

– كل ما أعلمه يا سيدي اني عثرت بالحربة على الأرض .

– وأنت الذي ثبتها بالبندقية ؟!

– نعم !

– متى ؟!

– عندما كانوا يستجوبون ماتياس .

وفي هذه اللحظة ، دخل الكونستابل بيسونيت ، فمد يده بشيء وهو يقول :

– كنت أفتش أمتعة هذا الرجل فعثرت بهذا في حقيبته .

وفتح قبضته .. فإذا في يده صندوق ثمين للسعوط (النشوق) .. فحملق جاك في الصندوق وصاح على الفور :

– عثرت بهذا في حقيبتي ؟ إنني لم أره قبل الان !

فتناول تريد غولد الصندوق وفحصه ثم قال :

– إنني أرى عليه شعار أسرة سان ريمي .. فكيف حصلت عليه ؟!

– أنا لا أعلم شيئاً عن هذا الصندوق ! هذه مؤامرة ضدي لإهلاكي !

قال الكونستابل مخاطباً بيجوري :

– ولقد عثرت بهذا أيضاً يا سيدي ..

وأخرج من جيبه منديلاً صغيراً ملوثاً بالدم .

فقطب بيجوري حاجبيه وسأل :

– وهل كان هذا المنديل في حقيبة الخادم كذلك ؟

- كلا !. بل وجدته في درج طاولة المطبخ .

فتناول بيجوزي المنديل وفحصه ، ولفت نظره حرف (أ) مطرزاً في أحد أركانه ، فسأل :

– ما اسم الفتاة ؟

فرد تريد غولد :

- اسمها أدريين .

الفصل التاسع عشر

ما كاد تريد غولد يدخل الكابينة رقم ٣ حتى وثب الدكتور وود من من فراشه وهتف قائلا :

ـ أين كنت يا رجل ؟ إن في جعبتي أموراً لا تحصى أود أن أسردها على مسمعك.. لقد أنبأني أنج ترمبلاي بأنك ذهبت بمفتش البوليس في سيارتك إلى القصر !

فقال تريد في شيء من التبرم :

ـ ذهبنا أولاً إلى القرية .

وفي هذه اللحظة ، أقبل ترمبلاي يحمل بين يديه صحفة كبيرة عليها بعض الطعام والشراب ، فوضعها على الطاولة ، وقال مخاطباً الطبيب :

ـ أتيتك بما طلبت يا سيدي .

فسأل تريد غولد الحارس :

ـ أين باتيس الدليل يا ترمبلاي ؟

ـ إنه خرج في صحبة عائلة مونتجومري

ـ متى عاد فأنبئه بأنني أود رؤيته .

ـ حسناً يا مستر تريد غولد ..

وما كاد الحارس ينصرف حتى التفت تريد إلى الشاب وقال له في حدة وهو ينظر إلى صحفة الطعام :

- ما هذه الوليمة ؟!

فتورد وجه الطبيب وقال :

- سوف تحضر الانسة دي سان ريمي حول الساعة السادسة ، للتفاهم معنا في أمور تهمها ! وقد رأيت أن شيئاً من الطعام والشراب ، قد يقوّي أعصابها الضعيفة !. ولا بأس ، من أن نتناول قليلا من الشراب حتى تحضر .

فجلس تريد واستطرد الشاب :

- وبهذه المناسبة ، يجب ان أذكر لك إنني أعددت العدة لإقامة الانسة دي سان ريمي بيننا بعض الوقت .. وقد أفسح لها أنج ترمبلاي غرفة في مسكنه ..

- ألا تظن انك تسرعت يا جورج ؟. أريد ان أذكر إننا لا نعلم على أي وجه تنتهي هذه القضية !. وأتمنى ان تصدقني إذا قلت لك ان الحوادث بدأت تتطور بسرعة .

- كن مطمئناً يا صاحبي .. خير لك ان تصغي الى ما حصل لنا في القصر بعد ظهر اليوم .

- مهلا . أرجو قبل كل شيء أن تعدني بألا ينتهي إلى الانسة ما أفضي به اليك .

- ليكن ذلك .

- إعلم إذن ان رجال البوليس قد عثروا في مطبخ القصر منذ ساعة تقريباً على منديل لها ملوث بالدماء .

فحملق اليه الشاب في وجهه بدهشة وسأل :

- وكيف عرفوا انه منديلها ؟

– وجدوا حرف « أ » منقوشاً على المنديل .. وهو الحرف الأول من اسمها ، كما تعلم والمنديل صغير الحجم ، من نوع مناديل السيدات .

فهز الطبيب رأسه في شيء من القلق وقال :

– لا ريب أنهم أخطأوا ايها الصديق .

– لست أرى هذا الرأي . ثم هنالك مسألة أخرى . فقد عثروا في أمتعة جاك بعلبة سعوط (نشوق) ذهبية ، تحمل شعار عائلة سان ريمي

وهنا وثب الشاب نحو صديقه وهو يهتف :

– لقد كنت أعرف هذا إذن فاعلم أن جاك هو القاتل .. أشعل غليونك يا صديقي واصغ إلي ..

وراح الطبيب الشاب يقص عليه حديث الرسالة التي كتبها جد الفتاة وما حصل بعد ذلك . وكيف انه يعتقد ان جاك هو الذي ضربه على رأسه ..

ثم سأل :

– وماذا يقول جاك في موضوع علبة السعوط ؟

– لقد قرر انه لا يعرف شيئاً ، عن العلبة .. وأنا أميل إلى تصديقه .

– إذا لم يكن جاك هو الذي سلب الودائع ، فمعنى ذلك ان الذي هاجمنا كان شخصاً اخر !.

ولم يكن هناك ، شخص اخر قريب من المكان ، غير مسجل المعقود !

– بوشيرون ؟

– نعم ، لقد ظهر لنا عقب هبوطنا مباشرة من الغرفة البلورية ..

وقرر انه كان يقوم بجولة على شاطىء الغدير ، ألا ترجح معي ان مهاجمي هو المجرم ؟

ـ هذا ما يلوح لكل إنسان

ـ أيمكن ان يكون المجرم هو بوشيرون ؟

ـ إذا كان قد خدعنا فيما صرح به عن موعد عودته في الليلة الماضية من ناحية (تروا بوان) .. فقد يحتمل ما تذكر ..

لكن دعني أقول لك يا جورج ، إن التهم التي لا تستند إلى أساس صحيح لا يمكن أن تؤدي إلى نتيجة يعول عليها .. وأنا أذكر ذلك عن خبرة سابقة !.

وراح تريد غولد يحشو غليونه ثم أشعله ..

واستطرد قائلاً :

ـ كلما قلبت نظري في هذه القضية ، شعرت بأن هناك قوة خفية تعمل على طمس معالم الحقيقة وحجبها عن أبصارنا ..

ولست أعدو الحقيقة إذا قررت لك أن حارس الطاحون لم يمت موتاً طبيعياً .. وإنما قتل لأن المجرم كان يخاف ان يعرف الحارس ما يجري بين جوانب القصر ..

وفي هذه اللحظة ، أقبل عليهما شخص قصير القامة ، أسمر اللون ، ناداه تريد غولد قائلاً :

- تعال يا باتيس ..

فلما دخل الدليل تابع تريد قائلاً :

ـ أخبرني يا باتيس !. ألم يكن ذلك الشخص ، المسمى بالأعور ، صديقاً لك ؟.

فرد الرجل في حذر :

ـ إني أعرفه ..

إنه الآن في موقف عسير ، فهل تحب ان تساعده ؟ لقد قيل لي انـك تذهب أحياناً إلى حانة (ليرميت) بالقرية .. فأحببت ان أسألك هل رأيت الأعور هناك في الليلة الماضية؟

فهز باتيس رأسه باصرار وقال :

– إني لم أره ..

– حسناً يا باتيس . هذا كل ما أريد منك .

ولما انصرف الدليل قال تريد غولد .

– أينما يولي الانسان وجهه لا يلقى سوى العثرات .

فقال وود :

– أراهنك انه يكذب .

– هو ما تذكر .. سوف ترى إذا كان مسيو بيجوري يستطيع ان ينتزع منه شيئاً ..

وفجأة نهض الدكتور وود من مكانه، وقصد إلى حيث توجد ثيابه ثم عاد وهو يمسك بيده حقيبة من القماش وقال :

– ذكرت لك ان الشخص الذي اعتدى علي في الغرفة البلورية كان يضع على رأسه غطاء .. وها هو الغطاء

فتناول تريد غولد الحقيبة وأخذ يفحصها .

فسأله وود :

– هل أتيح لك أن ترى من قبل حقيبة كهذه ؟

– كانت تأتيني أحياناً في نيويورك قناني من الويسكي في حقائب من نوع هذه الحقيبة .

– هذا صحيح !. إنها من النوع الذي يستخدمه تجار الخمور في نقـل قناني الشراب .

وهنا لمعت عينا تريد وهتف :

ـ آه !. أتعني ان (ليرميت) يستخدم مثلها ؟. هــذا استنتاج بديع يا صاحبي .

ثم طوى الحقيبة ووضعها تحت كتاب أمامه ..

ثم تابع :

ـ لا بد ان نعرض هذه الحقيبة على أنظار بيجوري . ترى هل ذهب إلى حانة (ليرميت) ؟

وما كاد يتم عبارته ، حتى دوى صــوت ترمبلاي ، معلناً وصــول مفتش البوليس ..

الفصل العشرون

دخل بيجوري صاخباً .. وما كاد يستقر به المقام ، حتى انفجر قائلاً :

– يلوح لي ان أهل الضيعة يتآمرون ضدي .. فإن السواد الأعظم منهم يستأجر أملاك مسيو هكتور . وهم لا يودون ان يفوهوا بشيء يمس سمعته أو سمعة عائلته .

فذهبت إلى حانة (ليرميت) أولاً ووجدتها مغلقة ، وحلفت لي زوجته انها لا تعرف أين ذهب .

ثم قابلت أخيراً ذلك الدليل المدعو باتيس بعد ان خرج من عندكم ، فإذا هو لا يقل عن سواه صمتاً وتحفظاً .

إنهم يفتعلون العثرات في دربي ، لكنني سأنتزع الحقيقة من أفواههم حتى ولو أمضيت حياتي كلها هنا .

ولما هدأ مفتش البوليس قليلاً ، أطلعه مستر تريد غولد على ما حصل للدكتور في القصر .

ثم ناوله الحقيبة وقص عليه ما يراه الطبيب من وجود صلة بينها وبين صاحب الحانة .

وما كاد تريد غولد يفرغ من كلامه حتى وقع بصره على الآنسة دي

سان ريمي ، وكانت اتية نحوهم

فرحب بها وود ودعاها إلى الجلوس ، وعندئذ أخرج بيجوري دفتر مذكراته ونظر اليه .

ثم سأل الفتاة :

– قد ذكرت في التحقيق انك كنت أول من عثر بجثة ادمز ، فلماذا إذن لم تخبري الدكتور وود ، حين أتى إلى القصر ، بأن هناك قتيلاً في غرفة الاستقبال ؟

– كان كل تفكيري إذ ذاك محصوراً في حالة جدي .

– أصارحك يا انسة ، انه مهما يكن من حالة العجوز ، كان في وسعك أن تخبري الطبيب او الكاهن او مستر تريد ، أن هناك قتيلا في القصر .. أرجو ان تصارحيني بالحقيقة .

فترددت الفتاة لحظة ثم اجابت :

– ظننت إذ ذاك أن جدي قتله .

– لكن الطبيب أخبرك ان قلبه شديد الضعف ، فكيف كان يمكن ان يجول بذهنك مثل هذا الخاطر ؟

– هذا ما خطر لي في الواقع ..

ولكن لماذا اتجه تفكيرك إلى هذه الناحية ؟ وما الذي يدفع العجوز إلى قتله ؟

– إن ادمز أرغم جدي على مغادرة أملاكه .

– إنني أعرف كل شيء في هذا الصدد .. ولكني أسألك عن أسباب معينة تحملك على هذا الظن

فتوقفت هنيهة ، ثم قالت :

– هدده جدي بالقتل في اخر لقاء بينهما .

– وما السبب في هذا التهديد ؟

هذه مسألة خاصة .

- أرجو ان اعرفها .

- أفضل ان ألزم الصمت ! . فالمسألة ، لا تمت بسبب ، إلى القضية .

فردد بيجوري عبارتها بصوت مرتفع :

– لا تمت إلى القضية ؟. ألم يطلب ادمز ان يتزوج بك في مقابل شروط معينة ؟

فجمدت الفتاة في مكانها وصعد الدم إلى وجهها .

ثم قالت :

هذا صحيح

- ألم يكرر ادمز هذا الطلب حينما رأيته في الليلة الماضية ؟

فأجابت الفتاة على الفور :

إني لم أتبادل معه كلمة واحدة .. لأنه كان جثة هامدة ، حينما شاهدته .

- ولماذا أتى إلى القصر ؟

- لا أعلم .

- ألم يأت لكي يسألك او يسأل العجوز عن بعض الودائع التي حجزت او اخفيت عند تصفية التركة ؟

– لا اعلم ! قلت لك اني لم أتحدث اليه .

فدس الشرطي يده ، في احد جيوبه ، واخرج علبة ذهبية صغيرة وقال :

– هل رأيت هذه العلبة من قبل ؟

فهزت رأسها سلباً .

فقدم اليها العلبة قائلا :

- خذيها ! إن عليها شعار اسرتك ، اليس كذلك ؟

فأومأت برأسها إيجاباً ، وراحت تقلب العلبة بين يديها ، ثم سألته :

- أين عثرت بها ؟

- كانت مخبأة بين أمتعة جاك ، وقد راح يتظاهر بأنه لا يعرف كيف وجدت هناك ، إن العجوز قد ترك لك رسالة ، أرجو أن تطلعيني عليها .

فمدت الفتاة يدها إلى حقيبتها في صمت وأخرجت منها ورقة مطوية فتناولها الشرطي وراح يتلوها .

وما لبث ان قال :

- وأين الودائع المذكورة في هذه الرسالة ؟

فأجابت الفتاة في برود .

ما دمت تعلم كل شيء مما يتصل بي ، فلا شك انك تعلم كذلك انه حينما قصدت مع الدكتور وود الى الغرفة البلورية للبحث عن الودائع ، كما يشير جدي ، وجدناها اختفت !

وردت اليه العلبة الذهبية

وصمت الشرطي لحظة ، ثم سألها

- أين أضعت قلمك يا انسة ؟

فمدت يدها إلى سلسلة ذهبيه ناعمة حول عنقها ، وظهرت عليها علامات الدهشة والحيرة وهزت رأسها قائلة :

- لا أذكر .. ولم أفطن قبل اليوم الى اني أضعته .

فقال وود

- هذا صحيح ، اني سألت الآنسة في القصر بعد ظهر اليوم ان تعطيني قلمها ، فأجابت بأنها اضاعته .

ولم يكمل الشاب عبارته ، لأن رجل البوليس بسط يده فإذا بها القلم الذهبي الصغير .

قال في هدوء :

- هل هذا قلمك يا انسة ؟

- نعم اين عثرت به ؟

ولكنه تجاهل سؤالها وقال :

- إسمحي لي بأن أرى هذه السلسلة .

فنزعت الفتاة السلسلة من عنقها دون ان تنبس بكلمة وناولته إياها ، فانحنى الشرطي عليها وراح يفحصها حلقة حلقة ، ثم وجه عنايته بعد ذلك إلى القلم الذهبي !

وما لبث ان أخرج من احد جيوبه عدسة ، ونهض إلى باب الكابينة حيث يتوفر الضوء .

وراح يعيد فحص القلم تحت العدسة !

وعاد الى الفتاة بعد لحظة وسالها، وهو يدني منها القلم :

- أتعترفين ان هذ القلم لك ؟

- بكل تأكيد !

- إننا عثرنا عليه ، تحت جثة ادمز ، فكيف وجد في ذلك الموضع ؟

فاصفرت الفتاة إزاء هذه المفاجأة وارتجفت شفتاها ، على انها لم تلبث ان ملكت نفسها واجابت ·

- لا اعلم ، وكل ما اعرفه اني اضعته اليوم !

فدفع الشرطي بالسلسلة اليها وقال :

- إن الحلقة التي كان القلم معلقاً بها تبدو مشوهة ، ويلوح من هذا انه انتزع منها بشدة ، فما رأيك في ذلك ؟

– لا شيء ، ضاع هذا القلم مني ، ولكني لا اعلم اين ضاع او كيف ضاع ، هذا كل ما اعرفه .

– إن الانكار لا يفيدك ، إني اميل إلى الظن بأنك قتلت ادمز دفاعاً عن نفسك .. إنه طلب منك امراً ، فجذبت الحربة من على الحائط لكي تذودي بها عن نفسك ..

وفي خلال الصراع الذي حصل بينكما ، طعنته بالحربة ، وتعلق هو بالقلم فانفصل عن السلسلة ، اليس هذا ما حدث ؟

– كلا ، والف مرة كلا !. اواه !. ما الفائدة من الكلام ؟. إن احداً منكم لا يصدقني .

فهتفت الفتاة وهي تضرب الأرض برجلها .

وهنا اقترب وود من الشرطي وقال والدم يغلي في شرايينه :

– إسمع يا صاحبي .. إنك اسرفت كثيراً .

فلم يتحرك بيجوري من مكانه واجاب :

– ارجو الا تتدخل فيما لا يعنيك !

ثم وجه حديثه الى الفتاة :

– إذا كنت لم تقتلي ادمز ، فلماذا نظفت الحربة ، ثم طلبت إلى جاك ان يعيدها الى مكانها ؟

فهتفت الفتاة غاضبة :

– إني لم افعل ذلك .

فرد وهو يبرز المنديل الملوث بالدماء :

– اصحيح ما تذكرين ؟. اليس هذا منديلك ؟

فتغضن محياها ، وأومأت برأسها إيجاباً .

فتابع الشرطي وهو يلوح بالمنديل :

– كيف تلوث المنديل بهذا الدم ؟ ومـــا سر وجوده في احد أدراج

طاولة المطبخ ؟!

فلوحت الفتاة بيديها في يأس وردت :

- في وسعي ان افسر كل شيء ، إذا كنت تمهلني .. انك تأخذ علي السبل بهذه الأسئلة المتتابعة .

هذه المسألة ليست في حاجة الى تفسير .. انك مسحت الحربة بهذا المنديل .. اليس كذلك ؟

فقالت في صوت دوى بين جوانب الغرفة :

- كلا .. لقد شاهـــدت إحدى (فردتي الشبشب) الذي كان يلبسه جدي ملوثة بالدمـاء . ولا ريب انه جر نفســه جراً إلى حيث كان ادمز ممدداً ، وهوى في البهو وهو يسير ملتمساً من يسعفه ، فمسحت آثار الدمـاء بمنديلي ، وكان ذلك أول اهتدائي إلى وجـود الجثة واعتقادي ان جدي هـو الذي قتل آدمز ، ووضعت ذلك المنديل في أحد أدراج المطبخ وكان في عزمي ان أغسله ولكني ما لبثت ان نسيته .

أرجو ان تعتقد في صدق هذه الوقائع ، وأقرر لك في إخلاص إني لم أر قط تلك الحربة .

وإذا كان هناك من تناولها ومسحها ، فلا بد ان يكون جاك ، واحسب انه كان مثلي يظن ان جدي ..

وهنا قاطعها وود قائلاً :

- لم تحاولين حماية هذا الخادم يا أدريين .. انك تعرفين حق المعرفة أن جاك هو الذي قتل آدمز ، وهو الذي مسح الحربة وأعادها إلى موضعها ، كي يدفع الشبهة عن نفسه .

فقالت الفتاة موجهة كلامها إلى الشرطي :

- إن الدكتور وود لا يعلم شيئاً في هذا الصدد إذا كان جاك هو القاتل ، فإنه ما كان ليسكت على اعتقال ماتياس التمس ..

فأرسل الشرطي ضحكة لا تبشر بخير وقال :

– أصحيح إنه كان يفعل ذلك ؟ هل تريدين ان أنبئك لماذا كذب في كل أحاديثه ! لقد أراد ان يحميك ..

فتراجعت الفتاة إلى الوراء ، وقد ضغطت بإحـــدى يديها على قلبها ، وهتفت قائلة :

– يحميني أنا ؟!

– إني أتكلم بوضوح ، انه كان يشتبه منذ البداية في انك قتلت آدمز .. ولما رأى أنهم عثروا على القلم ، إنقلب شكه يقيناً ..

فزمجر وود قائلاً :

– ألا ترى يا رجل انه يذر الرماد في عينيـــك ؟ إن ادمز قد فاجأه متلبساً بسرقة الودائع ، فما كان منه إلا أن فتك به ، كما حاول ان يفتك بي بعد ظهر اليوم .. وها هو يحاول الآن ان يلصق التهمة بالآنسة .

فقال الشرطي دون ان يفارقه هدوءه :

– انك مخطيء .. انه ظل إلى اخر لحظة يبذل جهـــده لحمايتها ودفع التهمة عنها . ولم يشأ ان يعترف بأن القلم لها حتى استدرجته إلى هـــذا الاعتراف .. وأحسب ان جـاك لم يمتد عليك في الغرفة البلورية إلا لأنه كان يحسبك بمفردك . وقد حمل بمـاعدة تلك الآنسة تلك الودائع الثمينة إلى مكان أمين ، ولم يكن يظن انك ستهتدي إلى هذا السر .

فقال وود :

– لا شـك انك مجنون ، إذا كان استنتاجـك صحيحاً ، فلماذا أنبـأتني الآنسة ، برسالة جدهـا ، وسـألتني أن أرافقها إلى الغرفـة البـلورية ؟

فهز بيجوري كتفيه وقال وهو يحملق في وجه الفتاة

– على الآنسة ان تفسر تصرفاتها !.

وفي هـذه اللحظة ، أقبل الكونستابل بيسونيت ، وقال محدثاً بيجوري :

- إن رجال البوليس في (.تروا بوان) يطلبون مخاطبتك تليفونيـاً يا سيدي !.

- تحدث بالنيابة عني ، يا بيسنيت . فإنني الآن ، في شغل عن حديثهم .

- إنهم يريدونك لأمر هام ، يا سيدي .. فإن الأعور فر من السجن بعد ظهر اليوم !

الفصل الحادي والعشرون

هتف بيجوري في دهشة ويأس :

– فر ؟ هذا بديع ، إنهم قبضوا أولاً على شخص بريء ربما استطعنا أن نفيد من أقواله ، ثم عادوا فتركوه يفر قبل أن أتمكن من مقابلته ، لعنة الله على هذه السجون القروية يا بيسونيت ..

– نعم يا سيدي

– أرسل في الحال من رجال البوليس من يكمن للأعور في كوخه حتى إذا لجأ اليه القي القبض عليه في الحال ، ولكن صبراً ؟

وتحول إلى الفتاة فجأة وسألها :

– هل أتيت بأمتعتك يا آنسة ؟

– نعم !

– إني أريد تفتيشها فهل تسمحين ؟

فهزت كتفيها بقلة اكتراث

قال :

– إذن فاعط الكونستابل مفاتيح الحقائب ، ولكن صبراً .. سأذهب معك يا بيسونيت ..

وأحنى قامته للفتاة باحترام وقال :

– سنستأنف الحديث فيما بعد يا آنسة ..

ثم اختطف قبعته وانطلق مع الكونستابل .

قال الدكتور وود وهو يشيعه بنظرة غضب :

– يا له من حيوان ! إنه كان يتحدث اليك كأنك متهمة .

فأشاحت أدريين عنه بوجهها وقالت تحدث تريد غولد :

– أريد أن أسألك معروفاً ، ولا أعلم هل ستجيبني اليه ؟ إن لديك سيارة اليس كذلك ؟ هل لك بأن تتكرم بالذهاب بي إلى الدير ؟

فهتف وود في دهشة :

– إلى الدير ؟ وماذا تريدين أن تفعلي هناك ؟

ولكنها لم تحول عينيها عن وجه تريد..

فأجاب هذا :

– بكل تأكيد ، ولكن ألا يحسن قبل كل شيء أن تتناولي شيئاً من الطعام ؟

– كلا ، لا أريد أن أتناول شيئاً من الطعام ، لقد تغير رأيي في الاقامة هنا .

فهتف وود في خوف :

– أدريين ؟

ولكنها تجاهلته وقالت لتريد :

– هل تذهب بي ؟

– طبعاً .. طبعاً أيتها العزيزة .. ولكن ، ماذا كنت أريد أن أقول ، آه .. ولكن حقائبك ؟

– كلا ، لا أريد حقائبي ، ولا أمتعتي .. لا أريد البقاء هنا لحظة أخرى

فصاح الطبيب محتجاً :

– ولكن ماذا حدث يا أدريين ؟

وقال تريد غولد :

– كلا .. كلا ! يجب أن تتناولي شيئاً من الطعام أولاً ، وبعد . فأنا لست واثقاً من أن مسيو بيجوري يسمح لك بالانصراف من هنا ، انني على استعداد للذهاب بك إلى حيث تريدين ، وفي أي وقت تشائين ، ولكن أقترح عليك التريث !

ثم قدم اليها كأساً من الشراب ..

فرفضتها أولاً .

ولكنه الح عليها فقبلت !

قال :

– هناك بضعة أسئلة أرجو أن تجيبي عليها ، لأنها في اعتقادي على شيء من الأهمية ، أنا شخصياً أعتقد في براءتك ، وأريد أن أثبتها بالدليل القاطع فحدثيني ماذا تعلمين عن بوشيرون ؟

نظرت اليه متسائلة وقالت :

– ماذا تعني ؟

– لقد قرر الأعور أن جدك بعث به إلى بيت بوشيرون لكي يدعو هذا الأخير إلى مقابلته .

– أعتقد أنه دعاه بشأن ريع بعض قطع الأرض الصغيرة التي تملكها .. لأنه لم يدفع هذا الريع منذ ستة شهور ، وامتنع عن الرد على رسائل أبي .

– لماذا ؟

– لقد كان أبي يعلل ذلك بالكساد وسوء الحالة الاقتصادية وفقر الزراع ، ولكني أعتقد أن آدمز هو الذي حضه على عدم إرسال النقود التي يستحقها جدي .

– ولكن لماذا أرسل جدك يدعوه على عجل في مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل ؟ إنه صبر ستة شهور .. وكان يستطيع أن يتريث يوماً آخر .

فهزت رأسها وقالت

– لا أعلم .

فنظر تريد غولد إلى الفضاء .

ثم قال كأنه يحدث نفسه :

– لقد كان والدك مرتدياً ثيابه كاملة ، وكنت وجاك نائمين .. أفلا يحتمل أن يكون جدك قد رأى أن الفرصة مناسبة لتفقد التحف الأثرية الثمينة .. فلما بحث عنها ولم يجدها .. أرسل في الحال يدعو بوشيرون بصفته وكيل أعماله هنا .. والوحيد الذي كان يحتفظ بمفاتيح القصر .

فأطرقت برأسها قائلة

– إنني لم أفكر في ذلك قط .

– هل تسمحين لي بنصيحة أقدمها لك يا آنسة ؟

فنظرت اليه متسائلة ، قال :

– إني أنصح لك بألا تبرحي هذا المكان ، فهو في اعتقادي المكان الوحيد الذي تستطيعين أن تأمني فيه على نفسك ، انني أظن أن كل انسان له ضلع في هذه القضية مستهدف للخطر .

فانكمشت في مكانها وهتفت :

– أتقول حقاً ؟

– نعم ، هل تمكثين هنا إذن ؟

– حسناً ..

وهنا تحول تريد غولد إلى صاحبه فقال :

– دعني أسألك معروفاً يا وود ، عليك أن تقف في هذه الشرفة بينما أتسلل إلى شرفة مستر ادمز ، لأنني أريد أن القي نظرة على محتوياتها .

– ولكن الكابينة مغلقة ومفتاحها عند بيجوري .

– لا بأس ، فهناك النوافذ .

– وإذا عاد بيجوري فجأة !

– إذا عاد فليذهب إلى الشيطان

وما كاد تريد غولد يبتعد ، حتى تحول الطبيب الشاب إلى أدريين وقال لها :

– حقاً انه شاب نشيط ، ومخاص .

ولكنها لم تجبه !!

بل نهضت واقفة وحاولت أن تنصرف .

فأمسك بساعدها وسألها في قلق :

– إلى أين تذهبين

– إلى غرفتي .

– بل اجلسي ودعينا نتحدث .

فأجابت وهي لا تزال تشيح بوجهها عنه :

– شكراً لك ، ولكني أفضل الوحدة .

– يا لله ماذا أصابك .

– لا شيء . .

– ولكن هذا جنون ، هل تعتقدين انني أسأت اليك ؟

– أرجو أن تدعني أذهب إلى غرفتي .

– لن أدعك تذهبين حتى أعلم سبب اعراضك عني .

فنظرت اليه في غضب وصاحت :

لماذا تعمد إلى الرياء والنفاق ؟

ـ لا أفهم ماذا تعنين !

ـ ألا تظن بأنك خدعتني ! ألست انت الذي أنبأت ذلك المفتش بأن جديون آدمز زارنا في باريس وطلب الاقتران بي ؟

ـ كلا ، لم أنبئه بشيء من ذلك .

ـ إذن كيف علم !

ـ إن لرجال البوليس طريقتهم الخاصة في استقصاء أسرار الناس ، تلك هي مهنتهم .

ـ لو انك كنت على شيء من كرم الخلق لما عبثت بثقتي بك .

ـ اتعتقدين انني سردت قصتك على بيجوري .

ـ إن حكاية باريس لا يعلمها سواي وجدي ، وأنت !

ـ أقسم لك بشرفي أنني لم أذكرها لكائن من كان . حتى ولا لتريد جولد .

فهزت كتفيها وقالت :

ـ لا أستطيع أن اصدقك .

وانطلقت إلى غرفتها غير عابئة بتوسلاته .

وما هي إلا لحظة حتى اتى تريد وسأله :

ـ أين ذهبت الفتاة ؟

ـ إنها انطلقت إلى غرفتها .

ـ حسناً فعلت ، والآن اصغ الي . سأذهب في الحال إلى القرية لشأن يتصل بالقضية التي نحن بصددها ومتى عاد بيجوري فدعه ينتظرني ، التمس اي عذر لإبقائه هنا قل له أن من الضروري جداً ان اقابله الليلة

قال ذلك ودخل الكابينة ورآه رود يفتح حقيبته ويتناول مسدسه فسأله في جزع :

- ماذا تريد ان تفعل بهذا المسدس ؟
- لا شيء ، انني أحتفظ به للطوارىء فحسب .
وصمت لحظة ثم عاد فاستطرد :
- وبهذه المناسبة ارجو ان تحذر الفتاة مرة اخرى بألا تبرح المصيف
- أتظنها في خطر ؟
- إننا جميعاً في خطر ما دام المجرم الحقيقي لا يزال حراً طليقاً .
- إن الفتاة تتهمني بأنني الذي أخبرت بيجوري قصتها، وتقسم بأن أحداً لا يعلم بهذه القصة سوانا .
- هل اخبرتك بقصتها في إحدى الغرف ؟
- بل فعلت ذلك في الخلاء ، في الغابة ، وكنا قد جلسنا بين الأشجار للراحة .
- هل سمع حديثكما أحد ؟
- كلا
- ولم يمر بكما احد !
ففكر وود قليلاً ثم اجاب:
- اذكر انني رأيت على مبعدة سيارة زرقاء ..
فهتف تريد :
- سيارة زرقاء كسيارة بوشيرون ؟
- آه ، نعم كسيارة بوشيرون .. يا لله ، لا يبعد أن يكون هذا الشخص قد تعقبنا إلى الغابة فإلى القصر ، واقول لك الحق ان سلوك هذا الشخص قد رابني ، فانه حاول ان يمنع ادريين من مغـــادرة القصر حتى يحضر مفتش البوليس ، كأني به اراد ان يورطها ويلصق بها التهمة مهما كلفه ذلك .
- صبراً ، سأجعل هذه المسألة موضع عنايتي متى عدت .

الفصل الثاني والعشرون

كانت الشمس قد اخذت تنحدر وراء الأفق حـــين وصل تريد غولد إلى القرية ..

فقصد لتوه إلى حانوت روفيير ، وقابلته زوجة هذا الأخير ، وعندما سألها عن زوجها انبأته باللغة الفرنسية انه في (الكاراج) ، وطلبت اليه ان ينتظره

وما هي الا لحظة حتى قدم العمدة .

فرحب به وقال :

ـ لا شك انك جئت في طلب المزيد من طوابع البريد ، لقد كان بودي ان اقدم اليك مجموعة ثمينة ، ولكن حوادث الأيام الأخيرة شغلتني ، ومع ذلك فقد اعددت لك بعض الطوابع .

ووضع امام تريد طائفة منها .

فقال هذا الأخير :

ـ هل تسمح لي بأن آخذها معي لأفحصها على مهل ؟

ـ طبعاً .. طبعاً !

واحصى تريد الطوابع وسجل عددها على غلاف قديم وجده على ارض الحانوت ، ووضع الطوابع في الغلاف .

وغاب العمدة لحظة ..

ثم عاد حاملاً قنينة وكأسين ، فملأ الكأسين وقدم احدهما الى ترييد وهو يقول :

ـ جرب هذا الشراب

فتناول ترييد الكأس وازدرد محتوياتها وقال :

ـ هذا شراب قوي اليس كذلك ؟ مم يصنع هذا الشراب ؟

ـ من الكحول النقي والليمون والسكر .

ـ هل ذلك من المشروبات المهربة ؟

فلمعت عينا روفيير وقال :

ـ هل تظن ان العمدة يقدم على خرق القوانين ؟

فابتسم ترييد وقال :

ـ لقد ذكر لي احد اصدقائي في كويبك انه يندر ان تباع في قرى (كندا) مشروبات روحية دفعت عنها ضريبة جمركية

فهز روفيير رأسه وأجاب :

ـ هذا الكلام ينافي الحقيقة .

ـ بهذه المناسبة ، هل اتصل بك نبأ عن (ليرميت) ؟

ـ انه لاذ بالفرار ، ولا يبعد ان يكون قد تخطى الحدود .

ـ هل اتصل بك ان الأعور فر من سجنه ؟

ـ نعم .. فقد جاءني إحد رجال الشرطة ، وطلب احد الأدلاء لإرشاد البوليس عن مسالك الغابة . وقد وضع كوخه الآن تحت الرقابة .

ـ وما قولك في (ليرميت) وفراره ، في اعتقادي انه اذا لم تكن له صلة بالجريمة فان ..

ـ ليس في استطاعتي ان ابرر فرار هذا الشخص .

ـ أظن ان ليرميت وباتيس يستطيعان ان يفيدا التحقيق ، ولكنهما يؤثران الصمت على الكلام

ـ هل تعني باتيس الدليل ؟

ـ نعم ، فماذا تعلم عنه ؟

فظهرت على وجه روفيير علامات التردد !

ولكنه ما لبث ان قال

ـ انني رأيته صباح اليوم وهو يدخل بيت بوشيرون .

ـ هل هذا كل ما تعلم عنه ؟ ولكن يحتمل ان يكون بوشيرون قد احتاج الى الدليل لرغبته في صيد السمك برفقته .

ـ ان بوشيرون ليس من هواة الصيد !

فصمت تريد غولد لحظة !

ثم سأل :

ـ هل يربح بوشيرون كثيراً من مكتبه ؟

ـ انه يربح كثيراً ، ولكنه اضاع نقوده في المضاربات وقد جاءني منذ ايام يطلب قرضاً .

فأشعل تريد غليونه ، وتناول الغلاف الذي وضع به طوابع البريـــد وهم بالانصراف !

ولكن روفيير استوقفه بقوله

ـ انني بحاجة الى نصحك يا سيدي ، وقد كان في استطاعتي ان اتصل بمسيو بيجوري لو ان لي ثقة بهذا الرجـل ، نعم .. كان بودي ان اتكلم اليه عن بوشيرون !

ـ وماذا تعلم عن بوشيرون يا سيدي العمدة ؟

ـ هل تذكر قوله انه لم يعد من (تروابون) ليلة امس قبل الساعة الحادية عشرة ؟

ـ نعم !.

ـ انه لم يذكر الحقيقة في هذا الموضوع ، فقد قرر لافوامبواز الخباز ، انه رأى سيارة بوشيرون امام منزله في الساعة العاشرة والنصف ، وبعد خمس دقائق انطلقت السيارة في سبيلها .

ـ وهل رأى الخباز الأستاذ بوشيرون ؟

ـ كلا ، ولكن ما دامت السيارة كانت هناك ، فلا بد انه كان هناك كذلك ، لأنه يقود سيارته بنفسه .

ـ وهل تكلمت الى بوشيرون في هذا ؟

ـ كلا ، لأن من المؤلم ان اصارحه بأنه كاذب .

ففكر تريد لحظة !

ثم تابع كلامه :

ـ اذن لا تذكر له شيئاً ، واترك الأمر لي .

عاد تريد عقب ذلك الى المصيف ، فلقي زميله الطبيب ورد ممدداً في فراشه وبين يديه كتاب يقرأه .

سأله وهو يخلع القبعة :

ـ هل عاد بيجوري ؟

ـ كلا ، ولكن ماذا فعلت انت ؟

فلم يجب تريد على هذا السؤال بل سأله .

ـ هل ستقابلك الفتاة غداً ؟

ـ طبعاً ..

ـ اذن فانبئها ان ذلك الشقي بوشيرون هو الذي سرد القصة على مفتش البوليس ، فاذا لم تصدقك فاستشهد ببيجوري .

وفي هذه اللحظة جاء مفتش البوليس !

وكانت ثيابه مبللة بمياه المطر .

كان متجهم الوجه منقلب السحنة ، فلم يكد تريد يراه على هذه الحال ، حتى نهض واقفاً !

هتف بيجوري بصوت اجش :

ـ ليرميت ..

فصاح تريد :

ـ ماذا !

ـ قتل خنقاً ، انهم عثروا به في الغابة هذا المساء .

الفصل الثالث والعشرون

خيل إلى وود أن يداً خفية امتدت ومحت عن محيا تريد غولد اخر أثر لتلك الطيبة التي كانت تلوح عليه .

وبدت له عينا الرجل باردتين قاسيتين وهو ينظر إلى مفتش البـوليس ، ويسأل في ثبات :

— أين عثر على (ليرميت) ؟!

— على بعد ميلين من الناحية الأخرى من القرية ، وعلى الطريق العـــام المؤدي إلى (تروا بوانـ) . لقد كانت الجثـة ملقاة بين المزارع ، وكانـ اكتشافها محض مصادفة ، إذ أرسـل أحد الزراع كلبه يسعى وراء أرنب .

— ومتى حدثت الجريمة ؟

— في الصباح الباكر على ما يبدو ، وأظن انه أسلم الروح منذ اثنتي عشرة ساعة على الأقل .

— ألم يعثر على اثار ؟

— تروي إمرأته انه سمع حول الفجر صوت حصى يرمى على زجاج نافذة غرفة النوم، فارتدى ثيابه على عجل وخرج دون ان ينبئها عن وجهته ، لكن أحداً لم يره بعد ذلك .

– وكيف مات ؟

– يغلب انه مات خنقاً ، لكن الحبل الذي استعمل في الجريمة لم يعثر عليه بجانب الجثة .

– وماذا عندك من أنباء الأعور !

– ما زال حراً طليقاً ، ولم يقرب كوخه .

وتوقف لحظة رمى فيها محدثه بنظرة حادة ثم تابع :

.. لكن الأعور لم يقترف هذه الجريمة يا مستر تريد ، فإنه لم يفر إلا في ساعة متأخرة بعد الظهر .

– اني أوافقك ، بل ان ليرميت لم يمت إلا لهذا السبب .

– لا أفهم ما تعني .

– أعني ان ليرميت قتل لأن الأعور كان لا يزال مسجوناً .

– وقد كان في استطاعة ليرميت ان يصرح بأن الأعور كان عنده حين ارتكاب الجريمة وبذلك يخلصه ..

اليس هذا ما تعنيه ؟

– نعم ، والواقع انه قبل ظهوره على مسرح هذه الجريمة لم يكن هناك أي شك في إدانة الأعور ، وكان ليرميت شاهداً خطيراً قد يصبح حجر عثرة في طريق الإدانة .

ولكن باتيس لا يزال حياً ، اليس كذلك ؟

– سوف يأسف على بقائه حياً قبل ان انتهي معه ..

– هل تعلم انه زار بوشيرون في الصباح الباكر ؟

فظهرت علامات الدهشة على محيا بيجوري وقال :

– هل فعل ذلك ؟ إني فكرت في بوشيرون هذا يا مستر تريد غولد ، فقد خطر لي ، بعد رحيلك بعد الظهر ، ان اعود لفحص اثار إطارات السيارة بواسطة عدسة مكبرة ، فاتضح لي انها قريبة الشبه كثيراً من الإطارات التي

وجدنا اثارها امام القصر .

– وهناك أمر اخر جدير بالاعتبار .. فقد ذكر بوشيرون ، انــه لم يعد من (تروا بوان) إلا بعـــد الساعة الحادية عشرة ، مساء أمس ، ولكن سيارته كانت واقفة أمام باب منزله في منتصف الساعة الحادية عشرة .

– وكيف علمت ذلك ؟

– لقد راها لافوامبواز الخباز في ذلك المكان ، ولم تنقض خمس دقائق حتى اختفت .

– أي انه انطلق بها في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين ! ولقد ابتدأ هطول المطر في الساعة العاشرة والدقيقـة الخامسة والأربعين ، فإذا صحت نظريتك ، كان لأثر إطارات السيارة معناه ، وكان من المؤكد ذهاب بوشيرون الى القصر مباشرة !

ترى ، هل اشترك الثلاثة ، أعني بوشيرون والفتاة والخادم ، في ارتكاب الجريمـة ؟

إن بوشيرون هو الذي قدم إلي الكثير من المعلومات عن الفتاة ، فلماذا فعل ذلك ؟

وهنا تدخل وود في الحديث وقال :

– لأنه يريد ذر الرماد في العيون وإبعاد الشبهة عنه ، ولهذا السبب كذلك أقدم على قتل ليرميت المسكين .

فقال بيجوري :

– ولماذا قتل ادمز ؟

– لأنه هو الذي سرق التحف الأثرية ، فلما اشتبك مع ادمز في النقاش والجدل قتله .

– ولكن لماذا قصد ادمز الى القصر في ليلة الجريمة ؟

ثم نظر الى تريد وقال :

ـ لقد كنت على حق . إننا لن نصل الى نتيجة حتى نعرف سبب حضور ادمز الى سان فلورنتين. اني أبرقت بعد ظهر اليوم إلى مكتبه في تورنتو للحصول على معلومات في هذا الصدد .

فمد تريد يده إلى حافظته الموضوعة على طاولة الزينة وتناولها وأخرج منها ورقة وهو يقول :

ـ أظن في استطاعتي ان أفسر هـــذه النقطة . بينما كنت أنت في (تروا بوان) انتهزت الفرصة وفتشت كوخ ادمز ، فوجدت هذا الخطاب في حقيبة ملابسه ، وهو مرسل باسم ادمز بعنوانه في (تورنتو) وصادر من محل « روي وميشو » من تجار التحف الأثرية ، بشارع سان لويس بمدينة كويبك .

أما تاريخه فيرجع إلى السابع عشر من شهر يوليو ، أي منذ ثلاثة أسابيع هل أتلوه ؟

وأشار بيجوري بالإيجاب فقرأ تريد :

« سيدي ،

« رداً على استعلاماتك عن التحف والأطبـــاق التي اشتريتها حديثاً من محلنا ، نقول ان الموظفة التي ابتاعت لنا هذه التحف رجعت من فرصتها ، وهي تقرر انها تظن ان التحف عرضت علينا في يونيو الماضي بواسطة إمرأة مجهولة ، رفضت ان تدلي باسمها ،

« وان تلك المرأة كانت ولا شك فرنسية كندية ، يدل مظهرها وأسلوبها في الكلام انها من الريف .

« ونحن ننتهز هذه الفرصة لننبئك بأننا سوف نحجز لك أية قطعة من التحف الثمينة عليها شعار سان ريمي .

« وتفضل ، الخ .. »

وانتهى تريد من تلاوة الرسالة فتابع قائلا .

ـ اظن ان معك رسالة هكتور دي سان ريمي إلى حفيدته ، فهل استطيع أن اراها ؟

فأخرج بيجوري الرسالة من جيبه وناولها الى تريد غولد ، وتناول منه خطاب ادمز ليقرأه بنفسه .

وتلا تريد غولد الرسالة ثم قال :

ـ اصغ الى هذه العبارة ، انه يقول :

« .. ان الصحف والأطباق الخاصة بجدة جدتك ، والتي تحمل شعار الأسرة ... »

ثم كف عن القراءة وقال :

ـ لا شك في ان ادمز رأى بعض هذه الأواني معروضاً في نوافذ ذلك المتجر في كويبك فراح يستعلم ، ولعل هذا هو سبب ذهابه إلى سان فلورنتين ليستعلم عن كيفية وصول أواني الأسرة إلى الأسواق .

وكان بيجوري يتصفح خطاب ادمز باهتمام ويقرأ بتؤدة هذه العبارة :

« .. وإن تلك المرأة كانت ولا شك فرنسية كندية يشير مظهرها وأسلوبها في الكلام أنها من الريف »

ثم رفع بصره عن الخطاب وقال محدثاً تريد غولد :

ـ إن بمنزل بوشيرون امرأة تديره وقد فتحت لي الباب بعد ظهر اليوم ، وهذا الوصف ينطبق عليها .

ثم نظر إلى ساعته وأضاف :

ـ الساعة الآن العاشرة وعشرون دقيقة ! أرجح ان يكون بوشيرون بمنزله الآن ، سأذهب وأراه في الحال .

فقال تريد غولد مقترحاً :

ـ ألا يحسن بك ان ترى باليس أولاً ؟

– هذه فكرة لا بأس بها ، فإنه كلما زادت معلوماتنا أمكننا تضييـق الخناق على بوشيرون ، سأذهب الآن لأقابل باتيس بمنزل قاضي التحقيق ، لاني طلبت منه ان يحضره إلى منزله في الساعة العاشرة .

– إذن دع مقابلة بوشيرون إلى الغد .. إننا نجابه عدواً قادراً خطيراً ، وإذا نحن أهملنا نقطة واحدة ، فسوف يفلت من أيدينا . يجب عليك أولاً أن تتم أبحاثك ، فترى باتيس وتحادث لافوامبـواز ، وتجمع كل دليـل يمكنك الحصول عليه ، ولا تقدم على مهاجمة بوشيرون قبل ان تكبله بالبراهين والأدلة !

– إنني لا أميل إلى التأجيل والتأخير ولكن يخيـل الي انك معتزم امراً معيناً فكم من الوقت يكفيك ؟

– أربع وعشرون ساعة .

– حسناً ..

– إنما أرجو ان تحمي باتيس من كل اعتداء .

– حسناً ، أين الفتاة ؟

فرد وود :

– انها ذهبت الى غرفتها منذ ساعات .

– اذن يجب ان أراها الان .

فهز الطبيب كتفيه مجيباً :

– سأذهب لإحضارها .

– كلا بل دعها تنتظرني .

وبعـد انصراف الطبيب الشاب ، التفت بيجـوري الى تريد غولد ، وقال له :

– إن الأعور صمم قبل فراره ان يتكلم بعد ظهر اليوم ، ولكنـــه أصر على ألا يفضي بشيء الا للفتاة .. وكانوا يجدون في الوصول اليه عندما

في الأعور.

ـ اذن يجب ان نجد الأعور اولاً .

فسار بيجوري الى الباب وفتحه ليرمي بلفافة التبغ التي كان يدخنها وهو يجيب :

ـ سنجده حتماً .

ـ عندما ترى الفتاة يجب ان تفهمها ان وود لم يرو لك عنها شيئاً .. اذ يخيل الي انها ..

وفجأة توقف تريد عن الكلام ، اذ دوى في تلك اللحظة صوت طلق ناري يصم الاذان .

الفصل الرابع والعشرون

لم يدم الوجوم الذي اعترى الرجلين على أثر الطلق الناري أكثر من لحظة وجيزة تبادلا فيها النظرات . ثم هتف بيجوري :

ـ يا الله انهم أصابوا الدكتور وود .

وكان لا يزال ممسكاً بمصراع الباب ، فاندفع منه كالسهم وتبعه ترید غولد .

وكان صوت الطلق الناري قد أيقظ المصطافين ، فتعالت الأصوات من كل ناحية وراح تريد غولد يعدو بكل قوته ، الى ان اصطدم بتيسران وكان يرتدي ملابس النوم الفضفاضة ، وقد رمى على كتفيه معطفاً قاتم اللون ووقف عاري القدمين .

هتف تيسيران ، وأسنانه تصطك :

ـ لقد أطلق عيار ناري ، الان .. هل سنموت جميعاً ، ونحن نيام ؟

ولم يجبه تريد غولد إذ قطع عليهما الحديث صوت الجنرال ريس ، وهو يصيح قائلاً :

ـ ماذا حدث ؟؟

وارتفع صوت بيجوري فوق جميع الأصوات ، وكان يصيح :

ـ يا دكتور ! هل أصبت بسوء ؟

وشق تريد غولد طريقه الى الأمـــام ، وراح يبحث عن بيجوري الذي أخفته الظلمة الحالكة ، ولكنه ما لبث ان رأى الدكتور وود قادمـاً من بين الأشجار وهو يتعثر لاهثاً ، وماء المطر يقطر من وجهه وثيابه ، فهتف قائلا : .

ـ شكراً لله ، ماذا حدث ؟

وترنح الشاب بين ذراعي صديقه فصاح تريد غولد :

ـ يا الله ، هل جرحت يا جورج ؟

فهز الطبيب رأسه وقال :

ـ لا ، ولكني تعب ، اذ اطلق مجهول عياراً نارياً علي فطاردته ، انتظر برهة حتى استريح .

واستند الشاب الى جذع شجرة وهو يلهث تعباً .

ووصل بيجوري في تلك اللحظة ، وفي أثره الجـنرال ، وتيسيران ، ومونتجومري وزوجته ، واحدى بنات تيسيران .. وكان انجل ترمبلاي اخر من وصل الى المكان .

وتكلم الجميع في وقت واحد ، ما عدا تريد غولد الذي لزم الصمت .

قال الجنرال محدثاً وود :

ـ ماذا حصل ؟ ومن ذا الذي أطلق النار ؟

فمسح الطبيب وجهه وقال :

ـ كان الطريق مظلماً ، وقد وصلت الى هذه البقعة او على بعد خطوات منها وعندئذ أطلقت الرصاصة فمرت على بعد سنتيمترات من أذني .

ـ ومن أية ناحية أطلقت الرصاصة ؟

ـ من بين الأشجار ، ولقد ارتميت على وجهي خشية ان يعـــاود المعتدي اطلاق النار ، ويغلب على ظني انه لم يرني لشدة الظلام فلم يعاود الكرة ولاذ

بالفرار ، وسمعت صوت خطواته صادراً من هذه الناحية فقفزت مندفعاً وراءه .

ـ وهل رأيت المعتدي ؟

ـ كلا ، ولكن وقع خطواته كان مسموعاً فتبعته ، ولم أستطع اللحاق به في هذا الظلام .

والتفت الطبيب الى تريد وقال :

ـ هيا بنا ، ان ماء المطر بلل عظامي .

لكن الجنرال لم يقنع بهذا الايضاح ، والتفت الى الحارس وسأله :

ـ ما رأيك في هذا الحادث يا ترمبلاي ؟ ان احدنا قتل والثاني اطلق عليه الرصاص ، فماذا حدث لرجال البوليس الذين كانوا هنا بعد ظهر اليوم ، لماذا لا يدفعون عنا هذه الأخطار ؟

وكان بيجوري قد اختفى من بين الجماعة ، فعاد الى الظهور في تلك البرهة وأقبل من ناحية الكبائن وهو يصيح :

ـ اين الحارس ؟

فتقدم ترمبلاي بشمله ، وما كاد يقع عليه بصر بيجوري ، حتى صاح هذا الاخير :

ـ أين الانسة دي سان ريمي ؟

ولم يجبه ترمبلاي على الفور ، بل تطلع اليه مشدوهاً وظل واجماً برهة ، ثم تمتم قائلاً :

ـ اليست في غرفتها ؟

ـ كلا !

ـ إنها قالت لي منذ ساعتين انها ذاهبة الى فراشها .

ـ لكن غرفتها خالية ، وفراشها مرتب لم ينم عليه احد ، لا ريب انها ذهبت الى القصر او الى بيت بوشيرون . سأنطلق للبحث عنها .

وبعد انصراف مفتش البوليس ظل تريد والطبيب وود يفكران في امر

الفتاة ويضربان اخماساً لاسداس الى ان أتى عليهما ترميلاي فجـــأة وانبأهما بأن الفتاة عادت وانها قالت انها خرجت للنزهة .

فلم ينتظر وود اكثر من ذلك ، وانطلق مسرعاً الى الكابينة فقابلته الفتاة وعلى وجهها أمارات الفرح ..

فبادرها وود بقوله :

ـ ما معنى هذا الاختفاء الفجائي ؟ هل علمت اننا بحثنا عنك في كل مكان ؟ الم يكن في استطاعتك ان تخبري احداً بأنك خرجت للنزهة ؟

واحتواها الطبيب الشاب بين ساعديه وراح يهمس في أذنه قائلاً :

ـ لقد ظننت انني فقدتك .. أدريين .. اني لا أكاد أصدق اني وجدتك ثانية ..

ولكنها سرعان ما تملصت من بين ساعديه فحول وود بصره فرأى تريد بالباب يبتسم ويقول :

ـ أرى انه قد تم التفاهم بينكما .والان أود التكلم الى الانسة ادريين ، أما انت يا جورج فيحسن بك ان تذهب وتنبىء بيجوري تليفونياً بأن الانسة عادت ، أخطره بذلك في الحال والا أساء التصرف فتسوء العاقبة .

وما ان خرج وود حتى قال تريد يكلم الفتاة :

ـ اذن قد لقيت الاعور !

ـ وكيف عرفت ذلك !

ـ بالتفكير العميق ..

ثم أشار الى احد المقاعد وقال :

ـ اجلسي وأخبريني بما أفضى به الاعور اليك .

* * *

وبعد انصراف ادريين ، نهض تريد لساعته وكتب رسالة ، وطلب الى الطبيب وود ان يذهب بها الى العمدة فيسلمها اليه شخصياً ، ثم يلحق به الى القصر في الساعة التاسعة ، حيث الجميع على موعد هناك مع بيجوري .

وفي الساعة المعينة ، ذهب الطبيب وود الى القصر ، فلاقي القوم في قاعة الاستقبال ، واحس بجو الغرفة مشحوناً بالكهرباء .

التقت عيناه لاول وهلة بعيني ادريين فابتسمت له الفتاة ابتسامة طمأنته وأنسته همومه وقلقه .

وكانت الفتاة جالسة بجوار بيجوري ، وكان هذا الاخير يوجه كل اهتمامه الى بوشيرون الذي وقف منه موقف المتهم من القاضي .

وما كاد وود يدخل الغرفة ، حتى أغلق الكونستابــــل بيسونيت بابها واستأنف بيجوري طرح الاسئلة على بوشيرون .

الفصل الخامس والعشرون

سأل البوليس السري مسجل العقود :

– هل تقرر يا سيدي انك دفعت ريع الأملاك لمسيو هكتور دي سان رنبي ؟

– نعم .

– وتقول انه على أثر وفاة شقيقه هكتور ، أصبح الموقف غير جلي من الوجهة القانونية ، فامتنعت عن ارسال النقود ؟

– نعم ..

– هل فعلت ذلك بتحريض مستر آدمز ؟

– كلا !

– ألم تكن تعلم بوجود مستر آدمز في سان فلورنتين ؟

– قلت لك انني كنت غائباً في (كوبيك) عند وصوله .. انه قدم إلى المصيف يوم الأحد على ما أظن .. أمـا أنا فقد عدت من (كوبيك) يوم الثلاثاء .

– أتعرف في (كوبيـك) متجراً لبيع التحف الأثرية باسم (روي وميشو) ؟

فهز بوشيرون رأسه وأجاب قائلا :

– إنني لا أعرف متجراً كهذا في كويبك ..

– ولكنك كنت تعرف محتويات القصر .. أليس كذلك ؟

– نعم ، على وجه الاجمال .

– توجد بعض تحف توارثتها العائلة ولكنها فقدت ، وبين هذه التحف المفقودة علبة سعوط (نشوق) ذهبية ، وبعض الأدوات الفضية والخزفية .. فما سر اختفائها ؟

– لقد فكرنا في أن مسيو هكتور لا يبعد أن يكون قد حملها معه إلى فرنسا ..

– ألم تعلم أنه كان قد أخفاها في الغرفة الزجاجية ؟

– كلا ..

– لكن آدمز كان يعلم ذلك ، وهذا مـــا حمله على العودة إلى سان فلورنتين .

– معنى هذا أنه كان يعلم ما لا أعلم ..

– إذن لم تعرف ان هذه التحف قد سرقت من مخبئها في القصر ؟

– كلا .

– ولكن مهنتك كانت تحتم عليك أن تعرف هذه المسائل ، لقد كنت وكيل صاحب القصر ، وكنت تحمل مفاتيح الأبواب . أفلم يخطر ببالك أن مسيو هكتور لم يرسل في طلبك في الليلة الماضية إلا لاكتشافه السرقة ، وانه اراد من دعوتك أن يسألك عنها ؟

– انني لا أعرف لماذا أرسل في طلبي ..

– متى عدت من (تراوبون) في الليلة الماضية ؟

– بعد الساعة الحادية عشر ..

– ما السبب إذن في وجود سيارتك خارج منزلك حول الساعة العاشرة والنصف !

ورأى بيجوري أن بوشيرون يوشك أن يهز رأسه نفياً ، فأشار باصبعه محذراً وقال :

ـ فكر قبل أن تجيب يا أستاذ بوشيرون ، فإن لدي شاهداً .

ولأول مرة انقلبت سحنة بوشيرون ..

ولكنه ما لبث أن قال :

ـ يحتمل أن أكون قد أخطأت في تحديد الوقت

ـ معنى ذلك إذن ، انك عدت حول الساعة العاشرة والنصف.

ـ قد يكون ما تقول .

ـ شكراً لك .. لماذا أرسلت في طلب الدليل باتيس صباح اليوم ؟

ـ لقد اتصلت بي إشاعة مفادها انه يستطيع إذا تكلم وقال ما عنده ، أن يبرىء ماتياس الأعور .. فرأيت ان أسأله في هذا الموضوع ..

ـ ألم يكن ذلك بقصد إعطائه مائة ريال لضمان سكوته عن الرسالتين اللتين حملهما اليك في منزلك من عند آدمز ، احداهما يوم الأحد ، والأخرى في الليلة الماضية !

وهنا وثب مسجل العقود واقفاً

ثم قال غاضباً :

ـ هذا كذب !

ـ ماذا كنت تفعل في القصر في الليلة الماضية !

انفجر هذا السؤال كالقنبلة ، فتلاشت حدة بوشيرون ، وأخلد إلى الصمت ..

على انه قال آخر الأمر ، وهو يجيل بصره بين الدكتور وود وتريد غولد

– إن هذين السيدان سيعززان أقوالي ، ذهبت إلى القصر في رفقة قاضي التحقيق .

– اعني قبل ذلك ، اي قبل ان يذهب هذان السيدان او سواهما إلى مكان الحادث !

– انني لم اقترب من القصر قبل ذلك ، وإنما كنت في (تراوبون) .

وهنا تدخل تريد بصوته الهادىء قائلا :

– إن شبهات بيجوري يا مسيو بوشيرون تقوم على اكتشاف آثار أقدام حول القصر .

لقد كانت آثار الأقدام ضيقة ومدببة يا استاذ ، وهي تطابق كل المطابقة هذا الحذاء الذي تلبسه ..

فقال بوشيرون في لهجة الظافر :

– سأجيبك إلى ما تطلب .. لقد كنت انتعل في الليلة الماضية حذاء من المطاط فوق الحذاء المعتاد ، وأنا أشهد على هذا خادمة فندق (تراوبون) ، لأنني نسيت الحذاء المطاط في الفندق حينما غادرته وعدت لاسترجاعه .

فقال بيجوري في إصرار :

– ومع ذلك فانك جئت إلى هنا في الليلة الماضية ، فإن تلك الآثار قد تركها رجل ينتعل حذاء من المطاط . وهذا الرجل قد وقف خارج غرفة الطعام . وفي وسعي أن أحدد لك الوقت على وجه الدقة . فقد كان ذلك قبيل انقطاع هطول المطر عند الساعة الحادية عشرة !

فارتجف مسجل العقود وتصبب العرق على جبينه ، وراح ينظر حوله كالأسد المجروح .

ولكنه هتف فجأة :

ـ هذا كذب ، هذه مؤامرة لاهلاكي .

ـ لقد كنت هنا قبل الساعة الحادية عشر ، وبقيت سيارتك في مكانها أمام الباب الخلفي من الساعة ١٠،٤٥ إلى ما بعد انقطاع المطر ، ولا تزال آثار العجلات بادية للعيان دليلا على ذلك ..

انك اتيت إلى هنا لمقابلة ادمز الذي بعث اليك برسالة مع باتيس ينبئك فيها بأنه ذاهب إلى القصر ، لقد وجدت هذه الرسالة بانتظارك حينما رجعت إلى منزلك ..

لا تحاول الانكار ، فقد قرر باتيس ولافو امبواز أنهما شاهدا سيارتك خارج منزلك . وحلفا على ذلك ..

لقد نزل بك الافلاس وركبك اليأس ، ولم يكن لك من مصدر تستمد منه المال سوى اجور الأملاك التي عهدت اليك فذهبت تبتزها وقد رأيت اخيراً انه لو علم مسيو هكتور بأنك كنت تسلب التحف وتبيعها إلى تجار الآثار في كويبك فانك ضائع لا محالة ، ولذلك قتلت ادمز لتحول دون وشايته بك .

واكبر ظني انك قتلت حارس الطاحون الذي لا يبعد أن يكون قد فاجأك وأنت تنقل المسروقات من القصر ..

وكما قتلت ليرميت لانه كان يستطيع أن يشهد على براءة ماتياس الأعور ، ولما رأيت ان ظروفك قد ساءت وأصبح مركزك شديد الحرج ذهبت تحاول الصاق التهمة بالآنسة دي سان ريمي .

فتهالك بوشيرون في مقعده ..

ثم اجاب في صوت اجوف :

ـ على رسلك .. سأخبرك بما تريد .. ولكن أطلب أولاً قدح ماء ..

وتجرع بوشيرون الماء ..

وراح يقول وقد سقط رأسه فوق صدره :

ـ حينما توفيت السيدة (أنيتا) اخت هكتور منذ ستة شهور ، أخذت احجز إيجار الأملاك ، ذلك لأنني كنت في اشد الحاجة إلى المال ، وقلت لنفسي ان مسيو هكتور سوف يعتقد بلا ريب ان ادمز هو الذي أمرني بحجز الايجار ، ولكنني لا أعرف شيئاً عن تلك التحف ، ولم اقتل ادمز او سواه !

ولقد كتب الي ادمز يوم الأحد الماضي يقول بأنه يقيم بالمصيف ، وانه يود أن يراني .. ولكنني شغلت عن مقابلته بعد عودتي من كويبك .

على إنني حينما رجعت إلى منزلي من (تروابون) وجدت رسالة أخرى من آدمز دفعها تحت الباب .

فقال تريد :

– هل معك الآن هذه الرسالة ؟

– لقد مزقتها ، ولكني أذكر مضمونها ، فقد أعرب لي فيها عن غضبه وقرر ان هناك ضوءاً شوهد بالقصر في تلك الليلة ، وانه معتزم التحقق من ذلك وانه لا فائدة من محاولتي تجنب مقابلته ، واقترح علي ان اقابله بالقصر ، وأن أحمل المفاتيح معي لنجتمع بداخله .

فسأله تريد غولد :

وهل ذهبت ؟

فأومأ بوشيرون برأسه إيجابا ..

ثم أجاب :

– كنت اظن ان مسيو هكتور عاد إلى القصر ، لأنه كتب يعد بهذه العودة في إحدى رسائله إلي بشأن الايجار .

وكان معي المفتاح المؤدي إلى (الاسطبل) ..

ولكنني رأيت ان أطوف بالقصر باحثاً قبل أن أدخل اليه ، ولذلك تركت سيارتي عند الباب الخلفي ، وتقدمت إلى واجهة القصر الأمامية .

وهناك شاهدت ضوءاً ينبعث من غرفة الطعام ، فاقتربت منها وشاهدت النافذة مفتوحة ، فجعلت أنظر من خلالها ، ووقع بصري على مسيو هكتور وآدمز واقفين احدهما إزاء الآخر حول المائدة .

وكان مسيو هكتور يصيح في صوت يتهدج من الغضب والانفعال : « لقد ذهبت أموالي نهباً مقسماً . » ، فأدركت على الفور انه أطلع آدمز على مسألة الايجار .

– ألا يحتمل أن يكون حديثهما منصباً على التحف التي كان يخفيها بالبيت ؟

– بل كانا يتجادلان في مسألة الايجار ، فإن آدمز كان يمسك بيده قلم وقطعة من الورق ، وهو القلم الذي وجد تحت جثته .

وكان في جيبه كما تذكرون لائحة حساب دونت بها بعض الأحرف بالقلم الرصاص ، وهي تفصيل لمبالغ الايجارات السنوية ، ومن هذا علمت أن هذه المسألة كانت مدار كلامهما ، وبعد ذلك غادر الرجلان الغرفة .

– وهل هذا كل ما تعرفه

– اني أشهد الله على صدق كلامي ..

فقال بيجوري في ايجاز وهو يجمع اوراقه :

– ساعتقلك للاشتباه في امرك ، وسوف أعد ملخصاً بكلامك كي تمضي عليه ..

على انه ما لبث ان بتر كلامه .

ذلك ان تريد غولد دنا منه وساعته بيده وتحدث اليه همساً ، وعلى اثر

دائذ التفت بيجوري إلى اثنين من رجاله وتمتم :

– اني اترك هذا الرجل في حراستكما .. فتشاه وجرداه مما يكون معه من الأسلحة ، أما انت يا بيسونيت فتعال معي .

وأجال بصره في جوانب الغرفة .

ثم استطرد :

– لا تدعوا أحداً يبرح المنزل حتى أعود ..

وسار إلى الباب وتبعه تريد غولد والدكتور وود .

الفصل السادس والعشرون

ما كاد وود يتقدم في الجنينة التي يسودها الظلام ، حتى رأى تريد غولد وبيجوري واقفين تحت شجرة لا يصل اليها الضوء المنبعث من نافــــذة غرفة الاستقبال .

ولما لحق بهما سمع صاحبه يخاطب المفتش :

— يجب ان نقوم بهذه المهمة في الظلام ، وفوق هذا لا أريد أن ينبس أحد بكلمة واحدة حالما نشرع في الهجوم ..

هل اتيت بمسدسك ايها المفتش ؟ حسناً ، وأنت كذلك أيها الكونستابل عظيم ، اذن فاتبعوني ، ولا تفوهوا بكلمة واحدة .

وساروا في الحديقة حتى نهايتها ، ثم خرجوا منها وشرعوا يتقدمون على ضفة الغدير حتى ادركوا الطاحون المائية .

ودنا تريد من باب خشبي مهدم ، فنفذ منه إلى داخل الطاحون وغاب بضع ثوان ..

ثم رجع وأشار اليهم أن يتبعوه ..

ووجدوا أنفسهم في فناء صغير .

فهمس تريد في اذن بيجوري :

— أرجو ان تأمر بيسبونيت بالبقاء في الخارج والاختفاء بين الأشجار

ومنع أي كائن من كان من الخروج .. ولكنه يستطيع ان يسمح لمن يحب بالدخول .

ولما خرج الكونستابل لانفاذ هذه التعليمات أضاء ترىد مصباحه الكهربائي .

فرأوا على نوره عربة صغيرة في احد جوانب الفناء ، قال :

– لنختبيء وراء هذه العربة ، ولكن ارجوكما التزام الصمت التام حتى أعطي الاشارة .

قال ذلك وأطفأ مصباحه ، ووقف ثلاثتهم خلف العربة في ظلام لا يبصرون معه شيئاً .

وانهم كذلك إذا بهم يسمعون وقع خطوات تدنو من مدخل الفناء ، فتطلعوا بأعينهم وأرهفوا حواسهم !

وما لبثوا أن تبينوا برغم الظلام شبحاً ملثماً ينفذ إلى داخل الفناء ..

ووقف هذا الشبح الملثم بالقرب من السلم المؤدي الى الطاحون ، وكمن في موضعه دون أن يبدي حراكا .

وفي ذات اللحظة بدا شبح اخر عند مدخل غرفة الطحن وأطل برأسه الى الخارج .

ثم أشعل عود (كبريت).

وعندئذ رأوا على ضوء عود الكبريت ، وجه ماتياس الأعور .

وابصروا به وهو يدني عود الكبريت من وجهه ويشعل غليونه

وما كاد الضوء يتلاشى حتى اختفى الأعور داخل الطاحون مرة أخرى ..

وفي الحال رأى الثلاثة ذلك الشبح الملثم يبرز من مكمنه بالقرب من السلم ، وينفذ إلى الغرفة في اثر ماتياس ..

وعندئذ وثب تريد من مكانه وطلب إلى رفيقيه أن يتبعاه .
واقترب إلى غرفة الطحن ..

وفي هذه اللحظة سمع القوم من داخل الغرفة صيحة مختنقة ، وصوت تلاحم اجسام ..
وارتفع تريد من داخل الغرفة وهو يصيح :
- احرسوا الباب ..

وفي هذه احس وود بجسم يرتطم به بقوة ، فهوى الى الأرض ، ولكنه تذكر مصباحه الكهربائي فأضاءه ، واذ ذاك تلاشى صوت اشتباك الأجسام ..

ورأى وود انه اصطدم بأخشاب الطاحون .

فنهض واقفاً ، وشاهد ماتياس الأعور على بعد ثلاثة اقدام منه ، والدم يقطر من وجهه ..
وأضيء مصباح كهربائي اخر في نهاية الغرفة ، وارتفع صوت تريد وهو يصيح بالفرنسية قائلا :

- اترك هذا الخنجر ، والا ألهبت رأسك برصاص مسدسي ..
فهرع وود الى مصدر الصوت .

فرأى تريد واقفاً في ركن المكان وقد امسك مسدسه باحدى يديه ، وامسك بالأخرى مصباحه الكهربائي ..

وكان امامه رجل ضخم الجثة يضع فوق رأسه كيساً من القماش به ثقبان تبدو منهما عيناه ..

وقد اخفى يديه تحت قفاز من الجلد .. وامسك باحداهما خنجراً طويلا ..
صاح تريد مرة أخرى :

– دع هذا الخنجر !

فارتد الرجل قليلاً ..

على انه ما لبث اخر الأمر ان القى بالخنجر على الأرض ، وفي الحال وثب اليه بيجوري وكشف الغطاء عن رأسه .. ووجد القوم انفسهم وجهاً لوجه امام العمدة ..

جوزيف روفيير ..

الفصل السابع والعشرون

وثب ماتياس الأعور وصاح في صوت أجش موجها كلامه إلى العمدة :

– أيها الشقي ، إذن فأنت الذي كنت في غرفة الجلوس ، في تلك الليلة !.

وقفز نحوه بخفة النمر ، وغرس أصابعه في عنقه ، وقد زاد الغضب محياه بشاعة ووحشية .

فهوى روفيير الى الأرض ، واصطدم رأسه بالحائط صدمة قوية ، ولولا ان خف الثلاثة الى نصرته لفتك به الأعور .

ودخل جاك في هذه اللحظة ، واشترك معهم في تخليص روفيير وقد تلوث وجه هذا الأخير بدم الأعور .

قال بيجوري وهو يحملق في ماتياس :

– هل جرحت ؟

فأجاب جاك وهو يتناول الخنجر من الأرض :

– أصبت بخدش بسيط من هذا الخنجر . اني كنت أترصد هذا الرجل (وأشار نحو روفيير) كتعليمات مستر ترند غولد ، لكنه سبقني إلى دخول الطاحون واستطاع ان يغيب عن نظري في الظلام .

وفي هذه اللحظة وصل بيسونيت ، فأمر بيجوري بأن يضع الأصفاد

الحديدية في يدي العمدة . ففعل دون ان يبدي روفيير أية مقاومة .

ونظر روفيير الى تريد بوحشية وقال له :

– إذن ، فقد كانت تلك الرسالة ، التي بعثت بها إلي الليلة ، فخاً للايقاع بي ؟

فهز تريد كتفيه واجاب :

– بل قل انها كانت لمجرد الاختبار .

وقاد بيسونيت العمدة الى الخارج أما بيجوري فإنه نظر الى تريد غولد طويلاً ثم سأله .

– وما هو دور الانسة في هذا كله ؟

فرد تريد وقد لمعت عيناه :

– إن الفضل في اعتقال هذا المجرم يرجع الى ذكائها .

– وكيف ذلك ؟

– إنها تعرف ان الأعور كان يتردد كثيراً على الطاحون وهو حر طليق ، فلما علمت انه فر من السجن أيقنت على الفور انه لن يلجأ الى غير الطاحون ، لأنه لم يكن يستطيع بالطبع ان يذهب الى كوخه .

فحك بيجوري رأسه وقال .

– كان يجدر بي ان أفكر في ذلك .. وإذن فهي كانت في الطاحون حين حسبنا انها اختفت او اختطفت . ورأت الأعور بطبيعة الحال ؟

فأومأ تريد برأسه علامة الايجاب وقال :

– نعم ، إنها رأته .. وعلمت منه انه رأى رجلاً في غرفة الجلوس حينما رجع الى القصر ليلة حصول الجريمة . ورجوع ماتياس الى القصر في تلك الليلة ، دليل على انه شعر ، رغم سكره ، بأن الواجب يقضي عليه بأن ينبيء سيده بأنه لم يستطع الاتصال بسجل العقود بوشيرون .. وقد وصل الى القصر بعد ان ذهبت الفتاة بجيدها الى حجرته ، وأرسلت جاك

لاستدعاء الطبيب .

فقال المفتش :

– هذا صحيح .. فقد أخبرني باتيس ، ان الأعور غادر حانة (ليرميت) ، عندما دقت الساعة الحادية عشرة ، ومعنى هذا انه جاء الى القصر حوالي .

– سنسمع هذه الرواية من الأعور نفسه ، بعد ان يفرخ روعه ، وعلى كل حال ، فإنه قال للفتاة انه دخل القصر من نافذة المطبخ كعادته وذهب الى غرفة الطعام للبحث عن سيده .

وكانت هذه الغرفة مظلمة ، ولكنه رأى ضوءاً ينبعث من غرفة الجلوس ، ووقع بصره على آدمز ممدداً على الارض ، والمصباح بالقرب منه ، فدنا منه ليتحقق من امره .

وقد ذكر انه بينما كان يدنو خيل اليه ان شيئاً ما يتحرك قرب الباب ، وسمع وقع أقدام ثقيلة في البهو .

فلم يتريث ليتحقق من طبيعة الموقف ، بل لاذ بالفرار من نافذة غرفة الطعام واستولى عليه فزع رهيب .

– ولكن كيف علمت ان الشخص الذي رآه الاعور في القصر ليس بوشيرون ؟

– يذكر الاعور انه سمع صوت وقع خطوات ، وانا واثق ان بوشيرون كان ينتعل حذاء من المطاط ، وانه أنكر ذلك ، فراراً من الشبهات والريب .. ومع ذلك ، فإن روفيير نفسه ، هو الذي قطع الشك باليقين .

– بهجومه الليلة على الاعور ؟

– نعم ، انني بعثت اليه برسالة ذكرت له فيها ان الفتاة اتصلت بالاعور ، واستخلصت منه الحقيقة ، وهي انه رأى المجرم في القصر

وعرفه ..

وإنها على موعد مع الاعور في الطاحون في الساعة العاشرة من مساء اليوم لتستدرجه الى ذكر اسم المجرم .

فهتف المفتش :

- صبراً ، صبراً .. انا لم أعلم قبل الان ان الاعور رأى المجرم في القصر وعرفه ، وأصبح في استطاعته ان يرشد اليه ؟

- ان الاعور لم ير وجه القاتل ، ولم يتعرف عليه ، ولكن روفيير لا يعلم ذلك .

فالمسألة اذن كانت خدعة لتخويفه وحمله على المجيء الى هنا للتخلص من الاعور ، قبل ان يورده موارد التهلكة .

ولذلك ، فانني أمرت الاعور بالاختبـــاء في الطاحون ، حتى اذا كانت الساعة العاشرة ، خرج من الطاحون ، وأطـل من بابه .. لكي يراه روفيير ، فيؤمن بأن كل شيء يسير في مجراه الحقيقي ، وليس ثمـة أية خدعة .

وفي ذات الوقت ، أمرت جاك بأن يرابض على مقربة ، لكي يساعد الاعور فيما اذا هاجمه روفيير .

فهز المفتش رأسه وقال :

- ولكن على فرض ان روفيير رأى الاعور بباب الطاحون وأطلق عليه النار واصابه .. فماذا يكون ؟

فأجاب تريد غولد على الفور :

- ان روفيير لم يكن ليقدم على مثل هذه المجازفة ، فهو يعلم ان رجال البوليس يرابطون في القصر وان القصر قريب من هنا .

فإذا استعمل المسدس او البندقية ، سمع رجال البوليس دوي الطلق الناري ، فكان من الطبيعي اذن ان يلجأ الى استخدام السكين او الخنجر ،

ما دام في استطاعته ان يصل بأحدهما الى النتيجة التي يصـل اليها ، فيما اذا استخدم المسدس .

فأطرق المفتش برأسه برهة ثم سأل :

– ولكن ، اذا كان روفيير هو القاتل ، فلماذا بقي في غرفة الجلوس بالقصر ، بعد ان ارتكب الجريمة بربع ساعة على الاقل ، حتى دخل الاعور وسمع وقع خطواته ؟

– اذا طلبـت رأيي الشخصي ، في هـذه المسألة ، فانني أظن ان روفيير رجع الى مكان الجريمة ، ليستولي على الحربة ، التي قتل بها ادمز .. لان روفيير من نوع المجرمين الاذكياء الذين يحرصون على ألا يتركوا وراءهم أثراً يدل عليهم ، ويرشد اليهم .

على انه إذا كان قد ترك الحربة أولاً ، بعد ان قتل آدمز ، فلا ريب انه فعل ذلك مكرهاً .

كأن يكون مسيو هكتور دي سان ريمي قد فاجأه وهو يرتكب الجريمة ، فتوارى المجرم في الحال .

أما الشيخ العليل فقد أذهله المنظر وهز أعصـابه ، وكان سبباً في النوبـة القلبية التي قضت على حياته .

على ان روفيير عندما عاد إلى غرفة الجلوس بعد ذلك ليستولي على الحربة ، رأى الأعور بجوار الجثة فلاذ بالفرار .

– ولكن . بقي أن نعرف ، لماذا ذهب إلى القصر ، في تلـك الليـلة ؟

إننا نعرف حركات أبطال هذه المأساة وسكناتهم ، في ليلة الجريمة ، ما عدا هذا الرجل ..

لأننا أسقطناه من حسابنا منذ البداية

– أعتقد انني الذي كنت سبباً في ذهابه إلى القصر ، في تلك الليلة ..

فحملق المفتش في وجهه وهتف :

– أنت ؟.

فضحك تريد غولد وتأبط ذراع بيجوري وقال :

– هذه حكاية طويلة تستغرق وقتاً طويلاً ، وسوف أسردها عليك في فرصة أخرى .

الخاتمــــة

عاد بيجوري الى المصيف حول منتصف الليل وتوجه لتوه الى كابينـة تريد غولد ، وهناك وجد الجميع في انتظاره ، بل لقد خيل اليه كأن نزلاء المصيف جميعاً كانوا في انتظاره لمعرفة النتيجة .

وقد أسرع بيجوري في الحال الى تريد غولد وضمه الى صدره ، وقبـله وهو يصيح :

– يا مستر تريد غولد ، انك رجل عظيم .

فضحك تريد غولد وقال :

– إنني مررت في حياتي بكثير من التجارب .. ولكن هـــذه أول مرة أجرب فيها قبلات رجال البوليس ، ولكن ما سر إغتباطك أيها الصديق . هل اعترف العمدة ؟

– كلا ، قلت لك انه ليس من طراز المجرمين الذين يعترفون بسهولة ، غير إن الأدلة على إدانته كثيرة .. وقد عثرت في (الجراج) على كمية كبيرة من التحف الثمينة المسروقة من القصر .

فهتف تريد غولد :

– آه ، هذه نتيجة لم أكن أتوقع أطيب منها .

– كذلك عثرت بكميات كبيرة من المشروبات الروحية المهربة ، ولا ريب

ان الشقي كان يتاجر بهذه المشروبات بالاشتراك مع (ليرميت) نفسه .. ومما لا شك فيه ان خلافاً شجر بين الشريكين ، وان (ليرميت) هدد بالاعتراف لإنقاذ الأعور ، ففتك به العمدة ثم حمل الجثة في سيارته ورماها على قارعة الطريق .

والآن ، وقد جاء دورك لتذكر ما عندك يا صاحبي ..

فقال تريد غولد وهو يشعل غليونه :

— نعم ، ان هناك بعض تفاصيل يجب ذكرها قبل ان نطوي سجل هذه القضية ، فقد أثار روفيير شكوكي وريبي منذ رأيته لأول مرة بشأن طوابع البريد .

ذلك انه ذكر ان هذه الطوابع منزوعة من رسائل وردت إلى زوجته من أهلها في مختلف بلدان العالم .

وقد فكرت في ذلك فيما بعد ، وأدهشني ان يكون لزوجته أقارب في مختلف أنحاء العالم ، في حين ان جميع الدلائل تشير على انها ريفية ، وان أهلها يجب ان يكونوا ريفيين ومن أهل هذه البلاد .

ومما ضاعف ريبتي في هذا الرجل ، انني التقطت من أرض حانوته أمس غلافاً نزعت منه طوابع البريد . وكنت أريد قصاصة ورق لأسجل عليها عدد الطوابع البريدية التي أعطانيها أمس .

فوقع بصري على هذا الغلاف فالتقطته ، وفحصته فيما بعد ، فرأيت تحت المكان المفروض ان الطوابع نزعت منه بقايا حروف مطبوعة ، وفهمت من هذه الحروف ان الغلاف كان يحمل اسم اسرة سان ريمي ، وشعارها ، وإن الذي نزع الطوابع قد غاب عنه ان يتلف تماماً الاسم المطبوع على الغلاف .

وعندئذ تبينت لي الحقيقة بكل وضوحها ، وهي ان الطوابع البريدية قد نزعت عن رسائل تبودلت بين أعضاء أسرة سان ريمي .

وان هذه الرسائل لا ريب كانت محفوظة في القصر المهجور إلى ان امتدت اليه يد روفيير .

ومما ضاعف شكوكي وريبي .. انني عندما ذهبت الى روفيير أمس وجدت انه في شغل في (الجراج) فنظرت عند انصرافي في داخل الجراج ورأيت من الأدوات ما دلني على ان روفيير كان يشتغل قبل مجيئي باستبدال إطارات سيارة قديمة تشبه من كل الوجوه سيارة بوشيرون .. ولم أكن قد رأيت العمدة في تلك السيارة ، فأدركت انه يستخدمها في نقل الخمور المهربة وفي أغراضه الجنائية .

فسأله المفتش :

— هل تظن ان روفيير قد سطا على الرسائل التي كانت أسرة سان ريمي تحتفظ بها في القصر ؟

— نعم ، ولكن أظن انه وقع على التحف الأثرية بطريق الصدفة ، وانه كان يتردد على القصر كثيراً وخلسة ، ولعله كان يبحث عن غنائم جديدة ، وذلك في اعتقادي هو سر الأصوات الغامضة التي كانت تسمع في القصر من حين لآخر .

كذلك اظن ان حارس الطاحون رآه او ضبطه مرة وهو منطلق ببعض غنائمه ، ففتك به ليأمن الوشاية .

— ولكن بم تفسر وجوده في القصر في ليلة الجريمة ؟

— ذكرت لك انني الذي بعثت به الى هناك ، ولكن دون قصد ، وذلك اني أفهمته انني بحاجة الى المزيد من طوابع البريد . وشجعته بالمال في الصفقة الأولى ، فأغراه الربح بمحاولة الحصول على طوابع جديدة ، فتوجه إلى القصر ودخله خلسة ، ليسطو على المزيد من رسائل الأسرة .

وقد علمت من جاك ان هذه الرسائل كانت محفوظة في صندوقين كبيرين باحدى غرف القصر

على ان أهم أو عثرت به .. كان ذلك الغلاف الذي وجدته في حانوته أمس ، وقد فكرت في الأمر طويلاً ، فهداني التفكير إلى فهم الكثير من الحقائق المبهمة التي صادفتنا حتى الآن ، وفي مقدمة هذه الحقائق ، وجـود قوة خفية تعمل على إبعاد أهم الشهود ، والتخلص منهم ، وإثارة الشبهات حول أكثر من شخص واحد . ومحاولة إدانة الأعور بأي ثمن . . أخـــيراً ، تلك الرصاصة التي أطلقت امس على الدكتور جورج وود .

وفي اعتقادي ان ذلك الشقي شعر باهتمامي بمعرفة الحقيقة ، وبأني في طليعة الذين يؤمنون ببراءة الأعور .

فتبعني بعد ان تركت حانوته أمس ، وتربص لي في المصيف ، حتى إذا رأى الدكتور وود ، وكان قد ارتدى معطفي ليقيه ماء المطر ، حسب انه يراني فأطلق عليه الرصاص

– ولكنك لم توضح لنا كيف قتل ادمز ؟

– يحتمل ان يكون ادمز ومسيـــو هكتور دي سان ريمي قد تكلما بخصوص ريع الأملاك كما ذكر بوشيرون ولكنني اظن ان الشيخ عندما صاح بأنه (سرق) إنما كان يشير الى التحف الأثرية الثمينة ، وانه خرج من الغرفة بعد ذلك ليصعد بآدمز السلم ويدله على المخبأ الخالي . فتبعه ادمز والمصباح في يده

– اما روفبير فظن انه دخل القصر في تلك الليلة ، وهو لا يعرف بأن الشيخ والفتاة قد عادا اليه ، وهذا يدلنا على انه اعتاد دخول القصر من غير الأبواب .

والذي افترض وقوعه ، هو ان يكون روفبير قد سمع الجلبة والضجة التي قامت بين ادمز والشيخ فدفعه الفضول الى استطلاع الخبر ، ووقف بباب غرفة الطعام ، حيث كان الرجلان ، وراح ينصت الى حديثهما ، وفجأة فتح الباب وخرج منه الشيخ ، فرأى روفبير ، وكانت المفاجأة قوية وغير منتظرة

فذعر الشيخ وأصابته تلك النوبة القاتلة . اما روفيير فإنه لاذ بالفرار الى غرفة الاستقبال .

ومن المرجح ان يكون ادمز قد استولى عليه الذعر بعد الذي اصاب هكتور دي سان ريمي ، فاندفع بدوره الى غرفة الجلوس والمصباح بيده ، فوضع المصباح على الأرض واجال الطرف حوله ، عسى ان يجد في الغرفة من يستنجد به .

ومن المؤكد ان روفيير خاف ان يؤخذ كالفأر ، وان يقطع عليه ادمز سبيل الفرار ، فمد يده وتناول الحربة بيده المقفزة ، وقتله بها ، ذلك هو التعليل الوحيد المعقول للجريمة .

— تمت —

